الجمهورية الجزائرية الديموقراطية الشعبية

كلية الآداب واللغات

قسم اللغة والأدب العربي

عنوان المذكرة

تحولات التجربة الشعرية عند بدر شاكر السيّاب - الأعمال الكاملة أنموذجا

مذكرة لاستكمال شهادة الماستر في اللغة العربية وآدابها تخصص:

أدب عربي حديث ومعاصر

إعداد الطالبتين:

- سعدة فحرير
- كتيبة غلاف

إشراف الأستاذ:

- عمر قلايلية

السنة الجامعية: 2019-2020

بسم الله الرحمن الرحيم

إهداء

إلى من قال فيهم المولى تبارك وتعالى بعد بسم الله الرحمن الرحيم ﴿ و وصينا الإنسان بوالديه حسنا وإن جاهداك لتشرك بي ما ليس لك به علم فلا تطعهما إليّ مرجعكم فأنبئكم بما كنتم تعملون﴾ سورة العنكبوت الآية(08)

إلى من أرضعتني الحب والحنان، إلى رمز الحب وبلسم الشفاء

إلى من كان دعاءها سر نجاحي، إلى أمي الحبيبة "فطيمة"

إلى من جرع الكأس فارغا ليسقيني قطرة حب، إلى من كلّت أنامله ليقدّم لنا لحظة سعادة

إلى من حصد الأشواك عن دربي ليمهدني إلى طريق العلم

إلى أبي الغالي "صادق"

إلى القلوب الطاهرة إلى أشقائي و شقيقاتي وإلى النفوس البريئة والبراعم الصغار (سماح، عبد الحق، وصفاء وإدريس) وإلى كل العائلة الكريمة حفظها الله.

وإلى الأساتذة الذين كان لهم الفضل في تكويني وإرشادي وتعليمي، إلى الذين أحببتهم وأحبوني، أصدقائي من بعيد أو من قريب وإلى من شاركوني في إنجاز هذا العمل "سعدة" و"بثينة" أهديهم هذا العمل.

كتيبةّ

إهـداء:

إلى ربي وبارئي الذي أنعم علينا نعمة الحياة والوجود والعقل وجعلنا مسلمات حنيفات.

إلى الرسول الأعظم صلى الله عليه وسلم، الذي جاء رحمة للعالمين وعلمنا الهدي الحكيم، وسيكون لنا إن شاء الله شفيعا يوم الدين.

إلى أمي الحبيبة "فطيمة" التي لا تقدر بثمن .

إلى أبي أنت الحبيب الغالي أنت الأب المثالي

تحياتي إلى أبي "الدراجي" الذي لا يكرره الزمن.

إلى أخي هو ذاك الجبل الذي عندما تميل بي الدنيا أسند نفسي عليه، كيف لا أحبه، ورب الكون قال: سنشدّ عضدك بأخيك، أخبروا أخي أنه أبي الثاني، إلى "مراد" أخي الغالي.

إلى عائلتي الكريمة وأختي العزيزة وأخي الصغير إلى جداتي وأعمامي وعماتي إلى أخوالي وخالتي وأولادهم حفظهم الله، إلى النفوس البريئة خليل، إسحاق، وليد، آلاء، زياد، إبراهيم، كوثر، سيرين، إلى كل من يحمل لقب حقرير وبلقندوز، إلى أساتذتي الذين ساهموا في تكويني وتعليمي إلى صديقاتي الغاليات اللواتي تقاسمن معي فرحتي وحزني وأعانوني من بعيد أو قريب كتيبة، نجاة، نريمان، بثينة، فيروز و زوجها .

أتقدم لهم بالتحية والتقدير.

سعدة

شكر وتقـدير

إلهي لا يطيب الليل إلا بشكرك ولا النهار إلا بطاعتك... ولا اللحظات إلا بذكرك... ولا الآخرة إلا بعفوك... ولا تطيب الجنة إلا برؤيتك...

في مثل هذه اللحظات يتوقف اليراع ليفكّر قبل أن يخطّ الحروف ليجمعها في كلمات... تتبعثر الأحرف وعبثا نحاول تجميعها في سطور، سطور كثيرة تمرّ في الخيال ولا يبقى لنا في المطاف إلا قليلا من الذكريات وصور تجمعنا برفاق كانوا إلى جانبنا فواجب علينا شكرهم ونحن نخطو خطوتنا الأولى في غمار الحياة، إلى كل من أشعل شمعة في دروب علمنا إلى من وقف على المنابر وأعطى من حصيلة فكره لينير دربنا على رأسهم الأستاذ "**عمر قلايلية**" الذي تفضلّ بالإشراف على هذا البحث فجزاه الله عنّا كلّ خير فله منّا كلّ التقدير والاحترام .

بالإضافة إلى أعضاء لجنة المناقشة لقبولهم مناقشة هذا البحث العلمي، وكذلك نشكر كل من ساعدنا على إتمام هذا البحث وقدموا لنا العون و زوّدونا بالمعلومات اللازمة لإتمام هذا البحث و بالأخص الأستاذ "أومقران" و الأستاذ "رحيم" و الأستاذ "شيبان" كما لا يفوتنا تقديم جزيل الشكر والامتنان إلى موظفي كلية الآداب واللغات الذين كانوا عونا لنا في بحثنا.

الشكر موصول لمن زرعوا التفاؤل في دربنا وقدموا لنا المساعدات والتسهيلات إلى كل من سقط قلمي سهوًا لشكركم... شكرا

سعدة وكتيبة

مـــقدمة

مقدمة:

تعد التجربة الشعرية عند بدر شاكر السياب من الظواهر الفنية التي شغلت اهتمام العديد من الدارسين، الأمر الذي أثار اهتمامنا كطلبة، لأنّ السياب من بين أعظم شعراء العرب في العصر الحديث، فجهوده في حركة الشعر الحر كانت حاسمة وأصيلة وقوية الأثر، ولما كان الشعر تجربة إنسانية تخضع لتحولات عديدة وتتأثر بالمتغيرات والظروف النفسية والاجتماعية والسياسية، قادنا موضوع البحث الموسوم بعنوان "**تحولات التجربة الشعرية عند بدر شاكر السياب**" إلى محاولة البحث عن إجابات لهذه **الإشكاليات** التي راودتنا ونحن في مقاعد الجامعة.

_ فيما تمثلت أهم الموضوعات التي أفرزتها التحولات الشعرية في تجربة بدر شاكر السياب؟ وما مدى توافق رؤية الشاعر مع جوهر نصوصه الشعرية؟

- وما علاقة هذه التحولات بمؤثرات النزعة الذاتية للشاعر وظروفه البيئية؟

- وكيف تجلت هذه التجربة على مستوى الأسلوب الشعري للسياب من خلال توظيفه للرمز والأسطورة؟

ولقد دفعتنا عدة **أسباب لاختيار** هذا البحث، فلم يكن بمحض الصدفة بقدر ما كان رغبة منا لمعرفة تجربة السياب وإعجابنا بشعره من جهة واقتناعنا بطبيعة الموضوع من جهة أخرى.

تكمن **أهمية الدراسة** في أهمية الظروف على مستويات شتى نفسية واجتماعية وسياسية وأدبية وتاريخية التي ساهمت في ظهور الشعر الحر عند السياب، وما أنتجه خلال فترة زمنية.

أما فيما يخص **المنهج المعتمد** فقد استندنا في بحثنا على أدوات المنهج التاريخي بالدرجة الأولى وذلك بتتبع مسارات شعر السياب ومواضيعه، كما اعتمدنا أيضا على مجموعة من آليات وأدوات المنهج النفسي في الفصل الأول بغية إبراز المؤثرات النفسية التي عاشها السياب وتجليها في نصوصه، إلى جانب بعض آليات المنهج الاجتماعي في الفصل الثاني من خلال رصد مؤثرات الواقع الاجتماعي العراقي ومدى مساهمتها في التزام السياب اجتماعيا وسياسيا، وقد اعتمدنا في الفصل الثالث على آليات التأويل لفك بعض الرموز الموظفة في شعر السياب.

ومن أهم **الدراسات السابقة** التي ساعدتنا وفتحت أمامنا آفاق البحث نذكر: سالم المعوش "بدر شاكر السياب نموذج شعري لم يكتمل"، وبدر شاكر السياب"كنت شيوعيا"، وكتاب بدر شاكر السياب دراسة في حياته وشعره "لـ: إحسان عباس، "والأسطورة في شعر السياب" لمؤلفه عبد الرضا علي، وإلى جانب هذه الكتب التي تناولت السياب دراسة وتحليلا، فقد اعتمدنا على مراجع أخرى لا يسعنا ذكرها في هذا المقام.

واعتمدنا على **خطة** مقسمة كالآتي: مدخل ومقدمة وثلاثة فصول نظرية وتطبيقية في الوقت نفسه، وأنهيناه بخاتمة، أما الفصل الأول عنوناه بـ: السياب ورحلة البحث عن ذاته، تحدثنا فيه عن شاعرية المكان في شعر السياب وغربته الموحشة عن جيكور وتخليده لها في شعره، وأثر وفاة أمه، وكذلك تجربته القاسية في الحب، وتحدثنا عن بعض العقد النفسية للسياب تجاه المرأة، والفصل الثاني عنوناه بـ: السياب من الذات الفردية إلى الذات الجماعية تناولنا فيه الالتزام الاجتماعي في شعر السياب، يرصد فيه بعض المواضيع كالفقر والجوع وبعض القيم الاجتماعية التي سعى إلى إصلاحها كالظلم والفساد والتقاليد الريفية السيئة، أما الالتزام السياسي في شعر السياب فقد تطرقنا فيه إلى تجربته مع الحزب الشيوعي ونضاله السياسي في العراق، وتحدثنا أيضا عن البعد القومي الذي أظهره السياب في شعره خلال

هذه المرحلة، والفصل الثالث عنوناه بـ: الحضور الرمزي ومرحلة النهاية ذكرنا فيه أنواع الرموز الموظفة في شعر السياب وأهم دوافع هذا التوظيف أهمية الرمز والأسطورة وقيمتها الفنية في شعر السياب، وخاتمة :كانت عبارة عن أهم النتائج التي توصلنا إليها.

وفي أثناء البحث واجهتنا بعض **الصعوبات** نذكر منها: كون الموضوع تتشابه فيه المعلومات في المراجع المتوفرة بكثرة، الأمر الذي أخذ كثيرا من وقتنا في البحث، وتطلّب منا جهدا مضاعفا، إلى جانب الظروف النفسية المتوترة بسبب جائحة كورونا التي اجتاحت العالم، وغيّرت من نمط حياتنا وحياة البشرية أجمع، وعلى الرغم من هذه العراقيل التي وقفت في طريقنا إلا أنّنا ذللناها بالعزيمة والإرادة، متسلحين بالصبر لإتمام هذا البحث المتواضع ولو بمعالجة بسيطة.

وفي الأخير لا يسعنا إلا أن نتوجه إلى المولى عزّ وجلّ بالدعاء أن يوفقنا فيما قدمناه في هذا البحث كما نتقدم بالشكر إلى كل من مدّ لنا يد المساعدة من بعيد أو من قريب ولم يبخل علينا بمساعداته، ونخصّ بالذكر الأستاذ المشرف لما له من فضل التوجيه والإشراف ومتابعة البحث خطوة بخطوة.

ونتمنى في الأخير من خلال هذه المحاولة المتواضعة على الرغم ممّا فيها من هفوات أن تفتح نافذة البحث للطلبة الأعزّاء في السنوات اللاحقة.

بجاية في يوم السابع من شهر سبتمبر من عام ألفين وعشرين.

سعدة وكتيبة

مدخل:

تضافرت مجموعة من العوامل المتراكمة عبر التاريخ من ظروف سياسية واجتماعية أدت بالمجتمع العربي إلى تطوره مع مطلع القرن العشرين، تحت نير الاستعمار، وفي ظل بعض التطورات العالمية الجديدة، والاحتكاك بالمجتمع الغربي بدأت أجيال تبشر بالعصر الجديد أو العصر الحديث، ومن المتوقع أن تتأثر الحياة الأدبية والفكرية عامة والشعر خاصة بهذه التحولات والظروف، وعلى إثرها انكسر عمود الشعر القديم وتهشم وظهر الشعر الحر، وتغير مفهوم الشعر الذي لم يعد صناعة كما هو الحال عند الشعراء والنقاد القدامى «فالشعر ليس صناعة، بل هو إدراك عميق للعالم ودخول في تجربة إنسانية عميقة، يستعمل الشاعر بالضرورة أدواته الفنية التي تساعده على نقل هذه التجربة بشكل أفضل، لكن هذه الأدوات ليست إلا وسائل، وبذلك يمكن تبديل هذه الوسائل بغيرها»[1]، إذ أصبح مفهوم الشعر أوسع يشمل التجربة الإنسانية بجميع أبعادها، كما أن الشاعر المعاصر أصبح يخوض في تجربة جديدة وحقيقية في كتابة الشعر بأدوات ووسائل فنية جديدة وفق معطيات جديدة أفرزتها الحياة والبيئة الجديدة، ليصبح بذلك «الشعر الجديد بمثابة ثورة داخل الفن الشعري»[2].

والمقصود بالشعر الجديد الشعر الحر الذي زعزع هيمنة وقدسية النموذج الشعري القديم والمتمثل في الشعر العمودي الذي يعتمد على الوزن والقافية إلى جانب البحور الخليلية المعروفة، أما الشعر الحر فهو يتبنى التفعيلة بدلا من البحر«شعر التفعيلة هو أسلوب في ترتيب تفاعيل الخليل ابن أحمد، تدخل فيه بحور متعددة من البحور العربية الستة عشر المعروفة، ومن ثم يختلف هذا الأسلوب عن أسلوب الشعر العمودي الذي ينقسم فيه البيت

[1]. رمضان الصباغ، في نقد الشعر العربي المعاصر(دراسة جمالية)، دار الوفاء لدنيا للطباعة و النشر، الإسكندرية، ط1، 2002، ص 101.

[2]. نفسه، ص 97.

إلى شطرين متساويين في عدد تفعيلاتهما، أما أسلوب الشعر الجديد فهو شعر ذو سطر واحد ليس له طول ثابت، بل يتغير عدد التفعيلات فيه من سطر إلى سطر وفق قانون عروض خاص تعد فيه "التفعيلة" لا "البحر" أساس الوزن في هذا الشعر»[1].

وإلى جانب التغير في البنية الخارجية – أي من حيث الشكل الخارجي للشعر– نجد أن التغير لم يقف عند هذا الحد، بل أصبح الشعر الجديد يدخل في مضامين جديدة ومواضيع لم يسبق للشعر التقليدي الخوض فيها أو حتى وإن خاض فيها ليس بالطريقة التي تخدم العصر الجديد، فالكتابة أصبحت تطرح مشكلات الإنسان المعاصر وقلقه من الوجود بسبب الحروب، والغزو الثقافي والفكري الذي حاول أن يطمس هوية الإنسان العربي ويقيد من حريته، وحتى اللغة الشعرية نجدها قد تغيرت وأصبحت بسيطة وسلسة قريبة من لغة الحياة اليومية وبعيدة عن التصنع والتنميق «لغة الشعر إذا هي لغة مختارة تعبر عن عمق التجربة، وهي لغة راقية، تعبر عن تجربة ذاتية فالشعر فردي، وإن كان يتجه إلى المجموع فإنما يتجه من خلال تفاعل الذات معه، والشعر يستنفذ في الكلمات كل طاقتها التصويرية والإيمائية والموسيقية في نقله الخبرة الجديدة للقارئ، ومؤثرات الشعر تنبع من أعماق الشاعر»[2].

وبهذه اللغة الشعرية البسيطة والقريبة من لغة الحياة اليومية والتي يعبر الشاعر من خلالها عن تجربته الذاتية أو في تفاعلها مع ذوات أخرى، تجاوز الشعراء الأغراض القديمة من مدح وهجاء وغزل... وأصبح للشعر مهمة ودور يختلفان عما سبق، فظهر شعراء وفرسان حملوا على عاتقهم رسالة الشعر النبيلة، وآمنوا بضرورة مواكبة الشعر للواقع ولظروف الإنسان المعاصر ومن بين الشعراء الأوائل الذين أحدثوا ثورة في الشعر العربي،

---

[1] – سامي يوسف أبو زيد، الأدب العربي الحديث (الشعر)، دار المسيرة للنشر والتوزيع، عمان، ط1، 2004، ص 305، 306.

[2]- رمضان الصباغ، في نقد الشعر العربي المعاصر، ص 135.

نجد الرائد **بدر شاكر السياب** شاعر العراق الأول الذي كتب الشعر وفق أطر جديدة، فهو ثاني اثنين في ريادة شعر التفعيلة **هو ونازك الملائكة**، فرغم وجود تجارب مشابهة للشعر الحر لشعراء آخرين، إلا أن النقاد وأغلب الآراء أبقت على نازك وبدر في دور الريادة والأسبقية في هذا التوجه.

ومن التسميات التي أطلقت على هذا الشكل الشعري نجد شعر التفعيلة، الذي أطلقته نازك الملائكة بوصفه يقوم على وحدة التفعيلة، ونجد **علي أحمد باكثير** يصطلح عليه بالشعر المرسل المطلق، وتعد وحدة هذا الشعر الجملة التامة المعنية التي قد تستغرق سطرين إلى ثلاثة، يقف القارئ عند نهايتها وهو ما يسمى المطلق، أما الشعر الحداثي تسمية ظهرت في ظل الدعوة إلى الحداثة والتجديد في الأدب، وأما تسميته بالشعر الحر فجاءت بوصفه شعرا متحررا من قيود الوزن والقافية وهو المصطلح الأكثر تداولا إلى جانب تسميات أخرى لم تعرف انتشارا ملحوظا منها الشعر الواقعي، الشعر المعاصر والشعر الحديث[1].

وهكذا رافق الشعر تطورات العصر الحديث، وأصبح الشاعر يلعب دور المركز والفاعل في عملية التغير ومرافقة الحداثة، باعتبار الشاعر كائن غير منفصل عن مجتمعه، فمن المؤكد أنه يتأثر بهذا الأخير ويؤثر فيه، ومن الطبيعي أن يظهر هذا التأثير جليا في آثاره الشعرية «فإن وعي الإنسان شاعرا كان أو قارئا يتشكل من جدله مع الواقع وارتباطه بالزمان والمكان المحددين ورؤية الشاعر وتعبيره عن تجربته إنما تعكس منظومة من العلاقات تتداخل فيها طاقة الشاعر الإبداعية مع تأثره بما يحيط به»[2] .

---

[1]. ينظر: سامي يوسف أبو زيد، الأدب العربي الحديث، ص 306.

[2] – رمضان الصباغ، في نقد الشعر العربي المعاصر، ص100.

فهنا يلعب المجتمع بجوانبه الإيجابية والسلبية دورا إلى جانب الدور الأساسي للشاعر، وموهبته في الإبداع برؤية فنية خاصة به، والشاعر عندما يبدع لا يعبر عما يدور في أعماقه فقط ولكنه يعبر أيضا عما يمكن أن يعيشه إنسان آخر «لأنه ككائن إنساني إنما يبوح بما يجول في أعماق أي كائن إنساني آخر أو يمكن أن يجول في أعماقه وإن كانت قدرة الشاعر على التقاط هذا الإحساس وذلك الشعور أكبر بكثير من الإحساس العادي»[1].

وبناء على هذا الحس المرهف للشاعر وقدرته في التعبير، تختلف التجربة الشعرية عن التجربة العادية في كون «التجربة الشعرية منظمة تنظيما دقيقا تركيبها أكثر تعقيدا»[2]، فالشاعر يختلف عن الإنسان العادي لأنه كائن فريد يتميز بإحساسه المرهف، فهو لا يعيش الحياة اليومية بكل ما فيها من ابتذال، بل يتفاعل مع واقعه ليعبر عن التجربة الإنسانية محاولا في الوقت نفسه التهرب من هذا الواقع نحو عالم أفضل هو عالم الشعر فنجده يحول تلك التجربة المفعمة بالصراعات النفسية الداخلية أو مع ما يعارضه في محيطه ويتخذ من الشعر ملاذا ومتنفسا للعواطف في حين نجد الإنسان العادي يغرق في مشاكل الحياة اليومية التي قد تؤدي إلى الضياع والاكتئاب «فالتجربة الشعرية هي ملاذ الشاعر هنا فإذا كان الإنسان العادي غير قادر على لملمة أطراف التجربة التي خاضها، وتجميع أشلائها المبعثرة فإن الشاعر الحاذق ينظم خرزاتها في سلك واحد ويستخلص منها نتائجها ويربط بينها ربطا خفيا بما يضبط هذه العلاقات في أعماقه، ولكنها تقفز إلى القمة حين يتفجر البركان ويتطاير شظى الأحداث المترسبة في تلك الأعماق في غير نظام كما يظهر للرائي، وإن كانت تنطلق في حقيقتها من الرؤية الفنية الخاصة التي كونها الشاعر من عصارة اتصالاته واحتكاكاته ومن خلال تناقضه عما يحيط به» [3].

---

[1]- رمضان الصباغ، في نقد الشعر العربي، ص 100.

[2] – نفسه، ص102 .

[3] – نفسه، ص 98 .

ففي التجربة الشعرية تلتقي التجربة الشعورية للشاعر مع الجمالية في تصوير مشاعره وكلما كانت التجربة التي عاشها الشاعر خصبة جاء التعبير عنها بصدق وعمق ما يجعل القارئ يتفاعل معها وكأنه جزء منها تتداخل فيه عاطفة الشاعر الصادقة مع إحساس القارئ.

وإلى جانب اختلاف التجربة العادية عن الشعرية نجد أن التجربة الشعرية نفسها تختلف من شاعر إلى آخر بناء على إمكانيات الشاعر الذاتية التي تحدد رؤيته للذات والحياة إلى جانب القدرة في التصوير والإبداع «فإن الشاعر إنما يبدع أو يتلقى القصيدة وفقا لإمكانياته الذاتية مضافا إليها وضعه الخاص في هذه اللحظة أو تلك في هذا الظرف أو ذاك»[1]، فبالرغم من تماثل الظروف مثلا نجد تميز شاعر عن آخر لأن الرؤية تختلف وكذلك الموهبة والخبرة.

وعلى الرغم من اللذة والارتياح اللذان يشعر بهما الشاعر وهو يعبر عن تجربته إلا أنه يكابد ويعيش في نفس الوقت نوعا من العذاب محاولا التخلص منه عن طريق ما يقدمه من عمل فني جميل قد تعلو درجته أو تقل وفق تضافر مجموعة من العوامل بعضها خاص بذات الشاعر والبعض الآخر خاص بخصوبة التجربة في حد ذاتها إلى جانب المؤثرات المحيطة به[2].

فبالإضافة إلى الوسائل الفنية وأهمها اللغة والخيال وقدرة الشاعر في التعبير والتصوير نجد أيضا تجارب الحياة التي تمثل مجالا خصبا للشاعر في انتقاء مضامين قصائده «فالخبرة وتجارب الحياة هي المعين الذي لا ينضب بالنسبة للشاعر خاصة إذا توافرت له القدرة والوسائل الفنية التي تمكنه من تحويل هذه الخبرة وهذا المخزون العقلي والحياتي إلى عمل فني ينبض الحياة»[3] .

---

[1]– رمضان الصباغ، في نقد الشعر العربي، ص 99.

[2] _ ينظر :نفسه، ص 98

[3] – نفسه، ص115، 116.

لعل هذا هو الدور المنوط للشاعر في العصر الحديث وهو استخدام اللغة في تحويل مظاهر الحياة والواقع إلى عمل فني (الشعر) ينبض الحياة.

وأما من يرى بأن الحياة اليومية تشوه التجربة الجمالية وتقتحمها ويبتعد الشاعر عن الواقع من أجل الحفاظ على التجربة الإبداعية، فذلك يسلب الشاعر معينا لا ينضب من تجارب الحياة والتي من شأنها أن تجعل عمله أكثر ثراء وحيوية[1].

لأن الحياة مستمرة بكل ما فيها من مواقف ولحظات وأحداث، نجد الإنسان يعيش تجاربه العادية فيها دون اكتراث وتدبر، في حين التجربة الشعرية تتميز بالإحكام لكونها تجربة جمالية شعورية تحمل خواطر الشاعر وأفكاره وهذا ما يتطلب من الشاعر التركيز والإخلاص، والصدق في التعبير وأن يكون شعره يحمل من القيم النبيلة ما يجعله متميزا يختلف عن الشعر الذي لا يحمل الحقائق، ولا يدعو إلى الأخلاق والقيم ولا يجعل القارئ يعتبر ويستفيد «فإذا كانت تجربتنا العادية عشوائية تتعارض فيها المواقف واللحظات وأحداثها تفتقر إلى الإحكام فالحياة هي مجموعة من اللحظات المتعاقبة وهذا ما يجعلنا نتعامل مع أحداثها في حياتنا في أحيان كثيرة دون اكتراث، وهذا على العكس من التجربة الشعورية التي تتميز بالأحكام والترابط بين لحظاتها حتى تبدو ككل ممتزج بلا فواصل»[2] .

فكل ما يبدو للإنسان العادي أمرا طبيعيا مألوفا يراه الشاعر مختلفا غريبا ينظم حوله الشاعر قصائده ويعظم من قيمته ويبالغ في وصفه وهذا ما يعطي الجمالية والفنية لإبداعه ويميزه عن بقية التجارب.

ولهذا السبب تختلف قدرة القارئ في استيعاب هذه التجربة دفعة واحدة «لن يكون بوسع القارئ الوصول إلى هذه التجربة دفعة واحدة فما تقدمه القصيدة ليس حدثا مفاجئا أو مؤقتا

---

[1]– ينظر: رمضان الصباغ، في نقد الشعر العربي، ص 128.

[2] – نفسه، ص128.

يبدأ وينتهي فجأة، بل هي تجربة لتنمو وتتطور خلال آليات التلقي وفقا لكل ما يتعلق بالقصيدة والقارئ في نفس الوقت»[1]، فالتجربة الشعرية مفهوم واسع تشترك فيه تجربة الشاعر في الحياة ولإحساسه المرهف نجده ينقل هذه التجربة الحياتية إلى إبداع شعري باعتماده على اللغة والخيال والتي يمكن أن يتجاوز بها التعبير عن ذاته إلى التعبير عن ذوات أخرى كما يصف فيها علاقات التفاعل أي التأثر والتأثير بين الفرد والمجتمع.

كان للتجربة الحياتية التي عاشها بدر شاكر السياب وقعا وأثرا في تجربته الشعرية ويظهر ذلك جليا في قصائده والملاحظ في تجربته أنها مرت بثلاث مراحل بارزة ساهمت فيها عدة مكونات وظروف كونت السياب الإنسان والشاعر، فقد كان له شؤونه الخاصة والعامة والتي أثرت على نفسيته ومن ثم على أشعاره ويمكن أن تقسم تجربة الشاعر من خلال أعماله الشعرية إلى ثلاث محطات بارزة أولها السياب ورحلة البحث عن ذاته، والثانية السياب من الذات الفردية إلى الذات الجماعية والثالثة الحضور الرمزي ومرحلة النهاية.

---

[4]- رمضان الصباغ، في نقد الشعر العربي، ص 123.

الفصل الأول

السياب و رحلة البحث عن ذاته

انحصر الشعر الكلاسيكي بظهور الرومانسية العربية التي تطورت في الشعر العربي على يد خليل مطران رائد الشعر الرومانسي إلى جبران ثم إلى مدرسة المهجر ثم إلى مدرسة الديوان مع الثلاثي (العقاد، المازني، شكري) وصولا إلى جماعة أبولو التي تألقت في مصر، بحيث اطلع الشعراء العرب على الشعر الإنجليزي الرومانسي وتأثروا به ومن هؤلاء نذكر الشاعر الفذ بدر شاكر السياب الذي اصطبغ شعره بصبغة الأطوار المتعاقبة عليه والتي تقلبت فيها حياته المعيشية والاجتماعية والفكرية، فقد لازمته المعاناة وهو في مرحلة الطفولة كما شعر بالغربة القاسية وهو في بيت أبيه حيث أنه لم يجد مخرجا لآلامه كما لم يوفق في العثور عن فتاة أحلامه التي تواسيه وتغرقه في عالم من الحنان والحب وتخفف بعضا من مواجعه، ولهذا تتبع السياب الحركة الرومانسية ورافقها وأنتج عطاء شعريا غزيرا، بحيث تناغمت حالته العاطفية مع مبادئها التي تدعو إلى الحرية والإغراق في الغنائية إذ تقدم الخيال على العقل، كما تعبر الرومانسية عن القلق والكآبة والتشاؤم والتمزق وتميل إلى لغة سهلة بعيدة عن التكلف وجزالة الألفاظ عكس ما عرفت به الكلاسيكية.

1) شاعرية المكان عند بدر شاكر السياب :

ليس المكان مجرد أحياء وأزقة فحسب بل إنه يشمل حيزًا كبيرًا في النفس خاصة لدى الأدباء والشعراء فنجد جلّ كتاباتهم تذكر ولو بالقليل هذا المكان لأن تأثيره عميق منغرس في صميم القلب ومن بين الشعراء الذين قدسوا المكان الشاعر العراقي بدر شاكر السياب فلا تكاد أشعاره تخلو من ذكر جيكور الحبيبة «وهي قرية صغيرة ريفية تقع في جنوبي العراق تابعة لمنطقة أبي الخصيب في قضاء الزبير التابع إداريا للواء البصرة»[1].

[1]- سالم المعوش، بدر شاكر السياب ، نموذج عصري لم يكتمل ، مؤسسة بحسون، بيروت- لبنان ، ط1، 2006، ص 11.

إنها منطقة معروفة بقلة سكانها وكثرة نخيلها بحيث تتميز عن غيرها من القرى بكثرة الأنهار والبساتين وببساطة الحياة فيها إذ يتخذ سكانها الزراعة موردهم المعيشي الأساسي وخاصة النخيل التي تملأ طبيعتها، كما زاد جمال وسحر الطبيعة الجيكورية هو نهر صغير يتخلل أشجار النخيل ويدعى بنهر "بويب" ليضفي ببريقه سحرا وبهاء خاصة ساعة الغروب يرسم منظرا شبيها باللوحة الفنية .

عاش بدر طفولة مفعمة في جوّ يملأه الدفء والحنان في وسط عائلة كبيرة، إذ كان المنزل مليئا بالحركة، كان يلعب ويفرح كأنداده من الأطفال يسيح في شتى الأماكن يجول بين ظلال النخيل ويلعب بماء نهر "بويب" ويراقب السفن والمراكب، أما في الأمسيات فكان يتجمع هو وباقي أفراد الأسرة «حول الجد ويحلو لهم أن يقص البطولات العربية وغير العربية ، مثل أبو زيد الهلالي وعنترة وكذلك سندباد... وكان عالم الجن والأشباح والأبطال والعشاق يموج في خيال الصغير فيترك فيه انطباعات عميقة مازالت صورًا وذكريات توشج شعره في مقبل الأيام»[1].

تعد جيكور بمناظرها الخلابة أحد أهم محفزات طاقة السياب الشعرية لأنها مسقط رأسه ومكمن ذكرياته خاصة ما يتعلق بأمه .

أ_ غربة الشاعر عن جيكور وحنينه إلى الماضي:

حتمت الظروف على بدر أن يهاجر قريته إلى عالم جديد هو عالم المدينة ، حيث شعر إزاءها بالوحدة القاتلة والغربة الموحشة ولربما يكون السبب الرئيسي الأول هو النقاء الذي تفتقده بحيث «تنعكس صورة المدينة لدى الشاعر الحديث، على أساس من فهم

[1]- بثينة علي إبراهيم مرزوق، الأدب السياسي و الحداثة في الشعر العربي، (دراسة تحليلية للشاعر بدر شاكر السياب)، مركز الإسكندرية للكتاب، الإسكندرية، دط، 2006، ص36.

اجتماعي دقيق وتكاد تكون متصلة بفقدان "النقاء" المعنوي في المدينة ، يوازيها حنين عميق إلى صفاء الريف وبعده عن الرذائل»[1].

وقد سبب انتقاله من الريف إلى المدينة اختلاط ماضيه مع حاضره الأمر الذي ساهم في شقائه وضياعه «وزاد من شعوره بالغربة، هجرته من الريف إلى المدينة وهنا بدأ الضياع الكبير الذي ترك آثاره العميقة في شعر الشاعر، فهو يحس بالغربة في المدينة فيحلم بالليالي المقمرة والنخيل والقرية وقصائده في هذه المرحلة غزلية ويغلب عليها شعر الحنين»[2].

فلم تستطع المدينة رغم ميزاتها المتعددة ورغم إغراقها في الترف إلا أنها لم تنسه أيام طفولته ومراهقته التي عاشها في قريته، بذلك خيم عليه إحساسه الدائم بالغربة.

إن جذور الشاعر مازالت تشده إلى القرية الطاهرة هي التي لم ينسها أبدا فبالنسبة له هي مدينته الفاضلة وجنته المفقودة بل هي بمثابة أمه حيث يقول في قصيدة "جيكور أمي":[3]

تلك أمي وإن جئتها كسيحا

لاثما أزهارها والماء فيها والتراب

وناقضا بمقلتي أعشاشها والغابا

---

[1]. إحسان عباس، اتجاهات الشعر العربي المعاصر، مجلة عالم المعرفة، تصدر عن المجلس الوطني للثقافة و الفنون و الآداب، الكويت، ع2، 1998، ص 91.

[2] –عطاء محمد أبو جبين، شعراء الجيل الغاضب، دار المسيرة، عمان، دط، 1981، ص 35.

[3]. بدر شاكر السياب ، شناشيل ابنة الجبلي و إقبال، مؤسسة هنداوي سي أي سي ، المملكة المتحدة ، 2017 ، ص 49.

إن جيكور تمثل لبدر المهد واللحد والينبوع والمصب كما أنها في نظره حضن أمه فدفء ترابها يماثل حنانها ويبعث في نفسه نوعا من التفاؤل والسعادة وعنوان قصيدته "جيكور أمي" دليل على شدّة تعلّقه بها مادام أنه أعطاها منزلة الأم.

إن حنين بدر لجيكور لم ينقطع حيث يصعب تجاهل وتغافل العلاقة الوثيقة بالأماكن التي سكنها طفلا والتي طاردته أطيافها أينما حلّ. كما أنه علق قلبه بناسها وطبيعتها فبات يتذكرها لسنين طويلة وخاصة حين كان يشعر بالوحدة والضياع في المدينة التي لم تقدم له سوى الحزن والألم وحاصرته بالدسائس والسجون وليس بالغريب أن ينفر من مدينة يملؤها الزيف والتصنع وأصبح الإنسان متشيئا مجردا من الإنسانية، فالملاذ الآمن هو العودة إلى الماضي وإلى الطفولة التي لا تخلو من الصدق والضحك والفرح والبراءة[1].

يقول في ذلك: [2]

يا صباي الذي كان للكون عطرا وزهوا وتيها

كان يومي كعام تعد المسرة، فيه نبضا لقلبي تفجر منها كل زهرة

كان للأرض قلب أحس به في الدروب

في البساتين في كل نهر يروي بنيها.... آه جيكور ، جيكور...

هذه العودة والشوق إلى الماضي والرجوع إلى الأيام السالفة والصبا، سببه أحزان الحاضر التي أثقلت الكاهل منها: «الاطلاع عن كتب على الحياة الجديدة في المدينة

[1]- ينظر: محمد صالح رشيد ، الطفل و الطفولة في شعر السياب، مجلة أبحاث كلية التربية الأساسية، م11، ع1 ، ص166.

[2]- بدر شاكر السياب، المعبد الغريق ، مؤسسة هنداوي سي أي سي ، المملكة المتحدة،2017 ، ص 79.

العاصمة على الطبقية المروعة التي كانت تجثم على أنفاس المجتمع آنذاك، قلة مترفة ترفل في حلل الغنى، وتمارس في بطر وفجور حياة السيادة ».[1]

غير أن «كثرة حرمت من الحياة الكريمة حتى لتكاد تحوم من أبسط أسباب الحياة ! الصيف والشتاء في مجتمع واحد! الثراء والترف والنعيم والشبع حتى التخمة للقلة والفقر والبؤس والحرمان والجوع حتى الموت للكثرة».[2]

تحمل المدينة كل أنواع الآلام والمكابد التي تسلب الهدوء وراحة البال وقد تبين جليا من خلال قصيدة "جيكور والمدينة" وفيها نلاحظ «أن بدرا كان يبغض المدينة ويكره سطوتها على الريف، وزيفها، وأخلاق ساكنيها ... فقد شعر أن المدينة تسلب الصفاء، والفطرة والبساطة وتحول البشر إلى عجلات تدور، وإلى مخلوقات مادية مسلوبة الإرادة ضائعة، تلهث وراء الشهوات الحيوانية، وتبيع كل الأخلاق والضمائر، لتحصيل بضعة دنانير»[3].

فالسياب يقابل جيكور بالمدينة قائلا :[4]

وتلتف حولي دروب المدينة

حبالا من الطين، يمضغن قلبي

ويعطين عن جمرة فيه، طينه

حبالا من النار يجلدن عري الحقول الحزينة

---

[1]- بدر شاكر السياب ، أنشودة المطر، منشورات دار المكتبة الحياة ، بيروت ، دط ، 1969 ، ص 6.

[2]- نفسه، ص 6.

[3]- خالد فيّاض الشرفات، المؤثرات الاجتماعية في نشوء الشعر الحر(شعر بدر شاكر السياب نموذجا)، مجلة دراسات العلوم الإنسانية و الاجتماعية ، مج 45، ع4، ج1 2018 ، ص 416.

[4]- بدر شاكر السياب، أنشودة المطر، ص 93.

يكره بدر المدينة لأنها تسبب له الشقاء والضغط النفسي لما فيها من غموض كما يمثلها بجبال من نار تلتف حول عنقه كما أن نفسه الأبية تبغض الزيف والسطوة ثم يكمل في قوله عن جيكور: [1]

وجيكور خضراء

مس الأصيل

ذري النخيل فيها

بشمس حزينة

يمد الكرى لي طريقا إليها

من القلب يمتد، عبر الدهاليز، عبر الدجى والقرع الحصينة

جيكور تمثل الفردوس الأعلى لبدر فهو يناجيها كلما زادت آهاته، حيث تتزامن هذه القصيدة مع ظروف السياب الصعبة والقاسية والتي أثقلت كاهله فالعيش في المدينة غرس في روحه اليأس والعجز على مسايرة عبء الحياة فقريته ترد الروح باخضرارها وتبهج الحياة وتنسي الخيبة والسقوط[2]، يشعر الإنسان بالغربة والقلق الروحي حينما ينأ عن موطنه الأم فيعاوده بذلك الحنين والتحسر على الماضي «وفي هذا الموقف اليائس يصبح الإنسان مترددا بين العودة إلى الطفولة والأم والقرية ليحس بالنجاة المؤقت من مخلب الموت».[3]

---

[1]- بدر شاكر السياب، أنشودة المطر، ص94.

[2]- ينظر: بدر شاكر السياب، الديوان مج 1، دار العودة، بيروت، ط 2016، ص 74.

[3]- إحسان عباس، اتجاهات الشعر العربي المعاصر، 73 .

الحنين للمكان ضرورة لشاعر توهج فؤاده حرقة إثر تيه وضياع وشعور قاتل بالغربة وتذوق لمرارتها، حيث يرى الماضي عزاء على الحاضر بل يزينه ويزخرفه لأن في ذلك التمويه تعويضا عن قسوة الحاضر.[1]

دنس المدينة جار على كل صورة جميلة طمسها وشوهها في نظر بدر «هنا يبدأ الضياع الكبير الذي ترك آثاره العميقة في مستقبله كله»[2]، لكنه سرعان ما وجد متنفسا لانقباض روحه مستعينا بالجنة المفقودة وبما تحمله من مناظر فعند تذكرها ينشرح صدره خاصة نهر بويب الذي يحتل مكانة سامية في قلبه حيث يقول عنه: [3]

بويب .... بويب ....

أجراس برج مناع في قرارة البحر

الماء في الجرار والغروب في الشجر

وتنضج الجرار أجراسا من المطر

بلواها يذوب في أنين

بويب ... بويب...

بويب ... بويب...

يا نهري الحزين كالمطر

---

[1]- ينظر: إحسان عباس، اتجاهات الشعر العربي المعاصر، ص 72 .

[2]- بدر شاكر السياب، الديوان، ص 62.

[3]- بدر شاكر السياب، ديوان أنشودة المطر، ص 125 .

بويب يحمل معنى السعادة والهناء والخلوة مع النفس لشاعر طالما كان أنسيه في وحدته. فبدر في هذا المقطع يزيل الستار عن حالته النفسية ويبث شكواه لـ"بويب" ليخفف بعضا من كآبته واختناقه من مدينة يملؤها الجفاء والتجبر، فالنهر الأثير يزيل الأنين.[1]

لقد جسد السياب صورة الاغتراب في شعره الرومانسي أيما تجسيد فله قصيدة بعنوان "غريب على الخليج" يقول فيها: [2]

جلس الغريب يسرح البصر المحير في الخليج

ويهدّ أعمدة الضياء بما يصعد من نشيج

أعلى من العباب يهدر رغوه ومن الضجيج

صوت تفجّر في قرارة نفسي الثكلى عراق

كالمد يصعد، كالسحابة، كالدموع إلى العيون.

هذه القصيدة تكشف عن الغربة الروحية والجسدية لبدر فالمدينة عنده دروب ملتفة تشد القلب فيرى بذلك أن نفسه ثكلى ومرارة البعد تقتله والحنين إلى العراق يجذبه فهو يلوذ بالفرار إلى قريته التي تعمها السكينة والهدوء «فمن المعروف أن أول ما يحس به الريفي اتجاه المدينة هو النفور من الضجيج الكثير والازدحام والتدافع ... والإحساس بالحيرة والخوف»[3].

---

[1]- ينظر: سيد رضا مير أحمد و آخرون، أشكال الحنين إلى الماضي في شعر بدر شاكر السياب، مجلة دراسات في اللغة العربية و آدابها، ع 11 ، س 2012 ، ص 161.

[2]- إحسان عباس، اتجاهات الشعر العربي المعاصر، ص 90.

[3]- بدر شاكر السياب، ديوان أنشودة المطر، ص 9.

لقد تفنن بدر في رسم وزخرفة ماضيه فهو طريق إرتاده فرارا من الألم والتماسا للراحة والهدوء والصدق والنقاء لأن بغداد عجزت أن تمحو صورة جيكور أو تطمسها في نفسه.

فحياة المدينة حياة خداع وزيف وتسلط فأمنيات العودة إلى جيكور تدغدغه في كل حين حيث الرحمة والحب والتفاؤل[1]، يستطيع الماضي بدوره أن يعالج الحرمان لذلك لجأ أغلبية الشعراء إليه ليخففوا ما كابدوه في حاضر يملؤه النقص والفشل إثر الفتن وتوالي النكبات ومن بينهم بدر الذي لقى كل أنواع الصعاب فجلّ شعره يحمل ذكرى من غربته القاسية «فحتى النهاية لم يستطع السياب أن يقيم جسرا من التفاهم أو المودة بينه وبين المدينة التي قضى فيها أكثر عمره».[2]

ب_ صورة الأم في شعر السياب :

الأم شعلة من نور يضيء الحياة ويزيح الظلام فعطفها لا يضاهيه أحد فهي نبع عطاء غير محدود ونسمة أمل بعد ركام اليأس كما أنها هدوء وسكينة للقلب وغناها يغذي الروح بالحب والحنان فهي شجرة الظل في وقت المحن حيث تعطي ولا تسأل كما أنها السند الذي لا يزول فسبحان الخالق الذي أعلى شأنها وجعل رضاه في رضاها في قوله: ﴿ووصينا الإنسان بوالديه حملته أمه وهنا على وهن وفصاله في عامين أن أشكر لي ولوالديك وإليّ المصير﴾. سورة لقمان الآية (14)

فقد خص الله عز وجل الأم منزلة رفيعة وجعل الجنة تحت أقدامها فحتى شفيعنا محمد صلى الله عليه وسلم ذكرها في كثير من أحاديثه فمرة جاءه رجل يسأل قال: يا رسول الله من أحق الناس بحسن صحابتي؟ قال أمك ثم قال من؟ ثم قال أمك ثم قال من؟ قال

---

[1]– ينظر: بثينة علي إبراهيم مرزوق ، الأدب السياسي والحداثة في الشعر العربي ، ص 106.

[2]– إحسان عباس، اتجاهات الشعر العربي المعاصر، ص 96

أمك، ثم قال من؟ قال: ثم أبوك»، فكلا القولين يؤكدان عظمة الأم وعن مكانتها، فالأم الحنون كنز لا يفن لا محالة .

الأم هبة من عند الله فوجودها يغني عن الدنيا وما فيها فالابن إذا ما تنعم في حضن أمه عاش ملك زمانه، ولعلّ السياب من جملة الذين تعلقوا بأمّهاتهم أيّما تعلق، فحبها وعطفها ملأ الدنيا عليه ودفؤها رسم في ذهنه لوحة لا يشوبها غبار، فبدأ بذلك بدر يحمل في قرارة نفسه انطباعات كانت المحفز الأول في تكوين شخصيته وبناء مخيلته وإلى جانب هذا كانت الطمأنينة التي تسود المنزل عاملا بارزا في حياة السياب، إلا أن دوام الحال من المحال وأن الإنسان مهما عاش دهرا من الزمن إلا أن المنية هي المأوى وأن الإنسان يفنى ويموت فلا مفر من ذلك، فلم تدم فرحة الصبي لهذا الجو المليء بالحب والحنان والهدوء الذي كان يغمره من جميع الجوانب خاصة أمه التي كانت أقرب مخلوق له على وجه الأرض «ففي عام 1932 كانت بريطانيا قد أنهت الانتداب مع حكومة العراق وأصبح العراق مستقلا... وأقيمت الاحتفالات بالمناسبة وفي العام نفسه توفيت والدة الطفل "بدر" فجأة أثناء الولادة وكانت في الثالثة والعشرين من عمرها»[1].

كان الطفل مولعا بأمه وسعيدا بوجودها معه بيد أن هذه السعادة والهناء بها لم تدم طويلا حيث أن المولى عزّ وجل كتب لها أن تغادر دار الدنيا وتنتقل إلى جواره إلى دار الآخرة وهي في عزّ شبابها، فتلقى بدر صدمة عنيفة هزّت كيانه وعصفت به وأحدثت شرخا كبيرا في حياته وفجيعة رافقته إلى آخر نفس له فأحس بانقباض روحه بعد موتها «وبأنه محروم مطرود من دنيا الحنو الأمومي»[2] .

[1]– بثينة علي إبراهيم مرزوق، الأدب السياسي الحداثة في الشعر العربي ، ص 36.

[2] – إحسان عباس، دراسة في حياته و شعره، ص 13.

وترك هذا الحدث الأليم عقدة لدى بدر لأنه لا يزال غضًا في السادسة من عمره من ثمة ارتسمت آثار هذا الفراق فتحولت هذه المأساة إلى قضية احتلت قسما كبيرا من حياة السياب النفسية وبقيت دفينة في أعماقه حتى وجد منفذا لها في الشعر على شكل صور حزينة باكية[1]، كما جاء في قوله: [2]

تثاءب المساء و الغيوم ما تزال

تسيح ما تسيح من دموعها الثقال

كأن طفلا بات يهذي قبل أن ينام

بأن أمه التي أفاق منذ عام

فلم يجدها ثم لج في السؤال

قالوا له " بعد غد تعود"

يصف الشاعر في هذا المقطع حالة استيقاظه من النوم ولم يجد أمه أمامه كالعادة وصور حالته بالطفل الذي يهذي فحينها باشر في السؤال عنها،«فكان يسأل عنها من حين إلى حين، فيقول له أهله: (بعد غد تعود) ،لكن الرفاق يتهامسون فيما بينهم عن موت أمه وعن ضريحها في جانب التل تسف التراب وتشرب المطر»[3]، وأجاب على ذلك في أنشودة المطر على شكل معزوفة مؤلمة يقول فيها:[4]

لابد أن تعود

---

[1] – ينظر: سالم المعوش، بدر شاكر السياب ، ص 15.

[2]– بدر شاكر السياب، ديوان أنشودة المطر، منشورات الحياة، بيروت، 1969، ص144،143.

[3]– أبو حاقة، الالتزام في الشعر العربي، دار الملايين، بيروت، ط1 ، 1979،ص 406.

[4]_ بدر شاكر السياب، ديوان أنشودة المطر،ص 144،143.

وإن تهامس الرفاق أنها هناك

في جانب التل تنام نومة اللحود

تسف من ترابها وتشرب المطر

كأن صيادا حزينا يجمع الشباك

ويلعن القدر

وينثر الغناء حيث يأفل القمر

مطر مطر مطر

فبعد التهامس زاد إحساسه بالفقد وأصبح يهوم غير داري ولا واعي بما يحوم حوله لكنه لم يكل من البحث وكان يردد السؤال عنها كل من يلاقيه أو يعترض طريقه عن مصير أمه ولكن دون جدوى وضاعت آماله في العثور عليها لأن الإجابات الموجهة له غير حقيقية بل يلهونه بالحديث فقط، غير أنه أدرك في الأخير أن كل هذا مجرد ألاعيب ومراوغة، لطمس حقيقة الموت الأبدي، وخاصة بعدما سمع رفاقه يتهامسون أنها لن تعود، فشبه حالته بحالة الصياد الحزين الذي رمى شباكه متأملا التقاط الأسماك لكن حظه لم يسعفه، فراح يلعن المياه والقدر، واستعان السياب بالمطر في هذه الأبيات حيث تحمل دلالة الحزن العميق كما أنها تجود بالدموع الثقال التي تنشأ إثر لوعة الفقدان«والصورة التي رسمها الشاعر تنطق بالحزن العميق وحالة الأسى التي يعيشها الشاعر وهي طفولته المحرومة ومعاناته الشخصية فاستعار الشاعر، المساء، الغيوم، الدموع الثقال، طفلا يهذي، قبل أن ينام» [1].

[1]- بثينة إبراهيم علي مرزوق، الأدب السياسي و الحداثة في الشعر العربي ، ص 115.

وبذلك نستخلص أن بدر استعان بالطبيعة التي وجد فيها متنفسا لمجموعة من الصراعات التي يكابدها في قرارة نفسه إثر خواء خلّفه موت مصدر الحب والحنان حيث تمكن من تصوير تجربته المريرة إثر طعنة القدر غير العادل، وظل بدر ينادي أمه في جل شعره حيث أن وجهها البهي لم يفارقه ولو لوهلة فلم ينس حبيبته الغالية التي غمرته بصدرها الدافئ ويُخيّل له أنها تخاطبه فيقول:[1]

وتدعو من القبر أمـــــي بني احتضني فبرد الردى في عروقي

فدفء عظامي ربما قد كسوت ذراعك و الصدر أحم الجـــراح

جراحـــــــــــي بقلبك أو مقلتك ولا تحرمني الخطى عن طريقـي

يتكلم السياب على لسان أمه وعن إحساسها بالبعد عن ابنها فيُخيّل له أنها تناديه وتطلب منه أن يحضنها لأن برد الفراق سار في عروقها كما أنها تطلب منه أن لا يحرمها من زيارة قبرها الموحش لتستأنس بصوت ابنها .

كما أنه لم يستطع السيطرة على هذا الجرح المغروس في أعماقه وزاده لوعة ومرارة كما ظل يؤكد قضية حرمانه من أمه وأنه لم يجد من يعوضه ذلك الحب والحنان فسبب له ذلك كبتا نفسيا واضطرابات عدة فلم يجد السبيل إلا في استرجاع بعض صور في ذاكرته لملاكه المفقود لعله يخفف بعضا من وجعه فيقول:[2]

ويسائلون الليل عنك وهو لعودك في انتظار

الباب تقرعه الرياح لعلى روحا منك زار

[1]_ بدر شاكر السياب، منزل الأقنان، ص 13

[2]- بدر شاكر السياب، شناشيل ابنة الحلبي و إقبال، ص 20.

هذا الغريب !! وابنك السهران يحرقه الحنين

أماه ليتك ترجعين

شبحا، وكيف أخاف منه وما امّحت رغم السنين

قسمات وجهك من خيالي؟

يرى النقاد أن هذه القصيدة "الباب تقرعه الرياح" من أكر القصائد التي تعبر عن ما يكنه بدر لأمه، فكلما قرعت الرياح الباب هيئ له أن روح أمه زارته لأنه يؤمن ببقاء الروح فهي عكس الجسد الذي يفنى، فيُخيّل له أن روح أمه دائمة السؤال عنه، كما يتمنى أن ترجع أمه بأي صورة كانت حتى وإن جاءت على هيئة شبح فلن يخاف منه إطلاقا ما دام أبد الفراق يحرقه ثم يدرك أنها عادت إلى رحم الأرض والتراب حيث انحلت في عناصر الطبيعة.

فكلما اختلى مع نفسه تزاحمت عليه الذكريات فيبدأ بتقليب صفحات الأيام السالفة لعله يعثر على بريق أمل أو بسمة أمه التي تفوح حبا وعطرا وفي هذه الأبيات يخاطبها قائلا:[1]

أماه ليتك لم تغيبي خلف سور من حجار

لا باب فيه كي أدق ولا نوافذ في الجدار !

كيف انطلقت على طريق لا يعود السائرون

من ظلمة صفراء فيه كأنما غسق البحار

[1]- بدر شاكر السياب، شناشيل ابنة الحلبي و إقبال، ص

لم يتوان بدر عن مناجاة أمه وعن دعوتها إلى مواساته في وحدته ويتمنى أنها لم تغب في طريق مظلم لا يستطيع اللحاق بها وأن قبرها من حجر لا يحتوي على جدار ولا نوافذ ليتمكن من الوصول إليها، لأنها رفيقه الوفي، فنعم الحياة هي بين جناحي الأم.

غير أن بدر لم يسعفه الحظ أن يعيش في كنفها فانطبع إحساس الحاجة إلى الحنان في أغوار ذاته خاصة أن البيت الكبير يعج بالناس كبارا وصغارا وأمهات فكل واحدة تحنو على أطفالها دون أن تجد متسعا في قلبها لطفل غريب تراعيه وتعطف عليه فبقى بدر وحيدا[1]، خاصة أنه «لم يمض طويلا وقت على وفاة والدة بدر حتى قرر والده أن يتزوج، وقد تزوج فعلا، وكان زواجه ثقيل الوطأة على نفس بدر، ذلك أن والده لم يأت بامرأة بديلة لأمه فحسب، ولا أغضب والده جد بدر، فقط بل غادرهم ليعيش حياته الخاصة»[2].

ت_ صورة الأب في شعر السياب:

لم تنطفئ بعد نار بدر إثر فقدان أمه حتى جاءته صدمة أعنف منها وذلك باتخاذ أبيه قرار الزواج بامرأة ثانية متناسيا أولاده غير مبال بهم ولا بالعوز العاطفي الذي تركته والدتهم فتحسر وحزن بدر على ما آلت إليه علاقتهم، فأحس ببعد رهيب اتجاه والده الذي «قد أساء إلى علاقة مقدسة بزواج ثان، وشغل بزوجه الجديدة عن أطفاله، فدفع بالطفل إلى مزيد من التعلق بعرق الثرى وفترت علاقته بوالده الذي يمثل الجحود والعصا وصوت المؤدب»[3].

---

[1] – ينظر: إحسان عباس، بدر شاكر السياب، دراسة في حياته و شعره، ص13.

[2] – بدر شاكر السياب، الديوان ، المجلد الأول، ص 14.

[3] – إحسان عباس، بدر شاكر السياب، دراسة في حياته و شعره، ص 13.

هذا الجفاء عمق جرح بدر ويبدو أن هذه الحالة الجديدة أيقظت شجونه وأصبح ينظر إلى والده نظرة غير معتادة فبعدما كان مثله الأعلى أضحى لا يساوي شيئا لأنانيته البشعة وحبه لنفسه وانشغاله بالزوجة الجديدة[1]، يقول في قصيدة بعنوان " خيالك" : [2]

أبي منه قد جردتني النساء و أمي طواها الردى المعجل

يشكو بدر من أبيه الذي تخلى عنه وهو في أمَس الحاجة إليه حيث كسر سلم الأمل وضاق صدره إذ لا أم تحنو عليه ولا أب يعوضه الفقد بل أقر أن النساء قد أبعدته عنه وعن واجباته كوالده وأن الردى المعجل طوى أمه في عز شبابها.

تأزمت الحالة المادية لأهل السياب واشتد السخط والصراخ في البيت الكبير لأن حالتهم لم تبق مثل ما كانت عليه «إذ كان آل السياب يعدون في بقيع ثالث ذوي الأملاك، وكانت أملاكهم مشتركة فيما بينهم يتقاسمون غلتها»[3]، لكن لم يدم الحال إذ أن الخيرات والأرزاق التي كان يجنيها السياب من أشجار النخيل انقطعت فواجهت العائلة مشكلات عدة منها تورطها تحت عبء الديون «فبيعت الأرض تدريجيا وطارت الأملاك ولم يبق منها إلا القليل»[4].

فوالد بدر هو كذلك لم يكن له الكثير من المال فأدى ذلك حرمان أطفاله من الدعم المادي والعجز عن تلبية طلباتهم أضف إلى ذلك تجاهلهم وإهمالهم «فبدر الحساس لم يكن ليحتمل العيش في كنف أب باع الود تعلق بامرأة غريبة وأهمل أبناءه»[5]، فمنذ ذلك الحين

---

[1]- ينظر: سيد مير رضا، أحمدي و آخرون، أشكال الحنين إلى الماضي، ص 156.

[2]- بدر شاكر السياب، الديوان، مج1، ص121.

[3]- إحسان عباس، بدر شاكر السياب، دراسة في حياته و شعره، ص 13.

[4]- نفسه، ص 14.

[5]- خالد فياض الشرفات، المؤثرات الاجتماعية في نشوء الشعر الحر، ص414.

أصبح الألم لحياته عنوانا لحياته والصبي كان واعيا بما يدور حوله لأنه فهم التمزق الذي تعرض إليه وشعر باليتم الذي زعزع فيه حس الاطمئنان والثقة أصبح حسه مرهف ونفسه رقيقة شفافة ومشاعره مليئة بالنقاء والبراءة «ويذكر بدر من أيام طفولته الأولى كيف بكى حينما قتل أحدهم كلبة ذات جراء وكان أكثر ما أبكاه منظر جرائها اليتامى»[1]، وهذا دليل على أنه استوعب معنى اليتم حيث أسقط منظر الجراء اليتامى على حالته وحالة أخويه بموت أمهم، وفي حدث آخر نكشف إنسانية بدر منذ طفولته «إذ يذكر عطفه على زنوبة التي كانت تخدم في منزلهم حيث سرقت حفنة من أرز، واكتشف أهله سرقتها فنثروا الأرز في إحدى الغرف، وطلبوا من زبونة أن تذهب لكنسها، فلما رأت الأرز علمت أن أمرها افتضح»[2].

ومن خلال هاذين الموقفين يتبين لنا أن شخصية بدر منذ النشأة كانت مليئة بالقيم الإنسانية المتجذرة في أعماقه والشعور بالغير والرأفة حتى على الحيوان في ظل حالته الموسومة بالحرمان والعوز.

ظل الصبي مهملا وسط عائلته فأصيب بإحباط نفسي حاد وأخذ يتلمس الحضن الدافئ ويبحث عن من يخرجه من أوج آلامه و وحدته فاتجه لائذا بعفوية لجدته من أبيه "أمينة" فكانت بمثابة الأم البديلة فلعل نظرة منها أو قبلة على جبينه أو ابتسامة منها تنسيه ما لقاه من تعب وعنت وتجاهل[3].

فعثر على شبيه لصورة أمه في جدته التي تملك القلب الطيب، حيث احتضنته بصدر حنون واستطاعت بدورها أن تخفف لوعته وتعوضه ما افتقده هذا الطفل البريء الذي

---

[1]- إحسان عباس، بدر شاكر السياب، دراسة في حياته و شعره، ص 16.

[2]- نفسه، ص 16.

[3]- ينظر: بدر شاكر السياب، الديوان، مج1، ص12.

غدره الزمن في أخذ أغلى كائن على وجه الأرض، غير أن الله أكرمه من فضله بقلب يحمل الحب والاهتمام الكبير فكان يفر من الصخب إلى حضن جدته التي تنسيه مرارة العيش دون أمه، وكانت تعيش في جيكور على عكس أبيه الذي يقطن بقرية تدعى "بقيع" وهذه الأخيرة تمثل لبدر كل أنواع الجفاء والحرمان على عكس جيكور المحبوبة إلى قلبه.

لقد شكلت الأم وجيكور الهاجس الفعلي في نفس السياب إذ حفر لهما صورة لا تنسى في أعماقه فكلاهما تمثلان الحب والحنان والطمأنينة « فصورة القرية عنده ترتبط بصورة الأم، فلا عجب في أن يحن إليها دائما فالقرية بشكل ما أم تحنو على السياب».[1]

يوحد بدر بين جيكور وأمه في جل قصائده ومزج بين صورة الأم بالأرض فيقول في قصيدة بعنوان"نسيم من القبر": [2]

نسيم الليل كالآهات من جيكور يأتيني

فيبكيني

بما نفثته أمي فيه من وجد و أشواق

طفولة مرحة قضاها بدر في جيكور القرية الهادئة التي يهب فيها النسيم بحيث يعاوده في كل مرة ليذكره بأمه الغالية التي نفثت الوجد في تربة جيكور لتترك هذه الأرض أثرا عميقا داخله « خصوصا أن هذه الأرض حملت في رحمها جثمان والدته وهي في ريعان شبابها ... لتصبح بذلك من ذرات جيكور الحبيبة إلى قلبه وخاطره وذكرياته».[3]

2) تأثير المرأة على شعر السياب:

---

[1]- بثينة علي إبراهيم مرزوق، الأدب السياسي و الحداثة في الشعر العربي، ص 101 .

[2]- بدر شاكر السياب، شناشيل ابنة الجلبي و إقبال، ص 61.

[3]- سالم المعوش، بدر شاكر السياب، ص 15.

حمل بدر معه حكايات عن المرأة إلا أن عالم المرأة في بغداد عالم جديد إذ هي موجودة على مقاعد الدراسة معه خلافا عن وضع المرأة في الريف وعلاقته بها التي كانت شبه خيالية إذ كانت بعيدة عنه بُعد السماء عن الأرض حينها خرج السياب إلى ميدان الحياة والشعر وهو يحمل علامة نفسية فارقة ألا وهي حاجته الماسة للمرأة كتعويض، إذ أصبح عقدة في حياة بدر ويعود ذلك إلى وفاة أمه وحرمانه المبكر من حنانها وزواج أبيه الذي خلق مسافة بينهما.

أ_ تجربة السياب مع الحب:

الحب عاطفة ضرورية لقيام الحياة وبدونه تستحيل فهو يضم المودة والرحمة والحنان والرعاية...الخ، ومن هذا المنطلق تبدأ حياة هذا الرقيق العاطفية بحيث بدأ يقرب أنفه الفاغر من روائح الأنوثة ومنه شرع في التقرب منهن إلا أن هذا لم يتعد حدود التباحث بينهن «لكن العادات لم تكن تسمح له أن يقرب من إحداهن ليحادثها كان يستطيع أن يتباحث معهن مثلا حول المحاضرة الأخيرة التي اشترك معهن في الاستماع إليها، وكان يستطيع أن يسألهن عن المحاضرة التالية، لكنه لم يكن ليستطيع أن يُقدم بمثل هذه السهولة على حديث مع إحداهن حول شؤون القلب»[1] .

لقد ظلت المرأة بمثابة هاجس مروع في حياة السياب الشقية فمنذ نعومة أظافره عانى من الحرمان بفقدانه أثمن شيء في هذه الحياة وما نجم عنه من ميول إلى الجنس الآخر والبحث عنه، خاصة بعد تعرضه لصدمة ثانية كانت أوجع وأحر عليه بوفاة جدته التي بدورها استطاعت أن تضمد بعضا من جراحه والتي كانت سنده الوحيد بعد رحيل أمه لكن القدر فعل فعلته وحرمه مرة أخرى من الصدر الحنون الذي لطالما ضمه إليه وخفف عليه، وشاءت الأقدار أن يطعن ثانية بوفاتها إذ ازداد التصدع الذي هزّ كيانه وفتح جروحه وزعزع

[1]– عيسى بلاطة، بدر شاكر السياب، حياته و شعره، ص 35.

خواطره بحيث كتب رسالة إلى صديقه خالد يقول: «حرمت عاطفة الأمومة وأنا ابن أربع ولكني لم أحرم من صدر يضمني ويحنو علي ولكنني لم أحرم من جدتي... أ فيرضى الزمن العاتي... أ يرضى القضاء أن تموت جدتي أواخر هذا الصيف فحرمت بذلك آخر قلب يحبني ويحنو علي»[1].

تفاقمت على بدر الصدمات وزادت عليه مرارة الحياة إذ به يخبر كل من اعترض طريقه عن معاناته التي تجابهه كل مرة وعن احتياجه لطرف ثان ليبث له شكواه وعن ما يعينه عن الدهر وعن المصائب التي تكالبت عليه وأثقلت كاهله فنجده يرثي جدته في مواضع كثيرة منها قوله: [2]

جدتي من أبث بعدك شكواي طواني الأسى وقل معيني

أنت يا من فتحت قلبك بالأمس لحبي أوصدت قبرك دوني

فقليل علي أن أذرف

ليتني لم أكن رأيتك من قبل ولم ألق منك عطف حنون

آه لو لم تعودين على العطف وآه لو لم أكن أو تكوني

يتمنى بدر في هذا المقطع لو أنه لم يتعوّد على العطف ولم يخذل مرة ثانية ويحرم مجددا من الحب والحنان والوّد الذي عاد إليه بعد مدّة ويتحسر على الفراق بعد الاعتياد والخيبة بعد بصيص الأمل الذي وجده في جدته التي منّت عليه بالحنان وأغرقته فيه دون بخل و لا تردد ودون كلل أو ملل.

---

[1]- بثينة علي إبراهيم مرزوق، الأدب السياسي و الحداثة في الشعر العربي، ص 39، 40.

[2]- بدر شاكر السياب، الديوان، مج1، ص98.

وعلى الرغم من أن الموت في حدّ ذاته تجربة مفجعة وقاسية على النفس إلا أنه أقل فضاعة حين يوازي بما عاناه بدر من خواء عاطفي وحتم عليه البحث عن النصف الآخر ليسد جوعه الروحي بالمرأة التي تمثل «زينة الدنيا وفتنتها ونضارة الحياة وبهجتها وانتعاش الرغبة واخضرارها، ولولاها لعمّت الرتابة والبلادة وأمست الحياة جدباء موحشة فهي مبتدئ الخلق ورحمه»[1].

ومن هذا المنطلق شرع السياب في رحلة البحث عن ذاته بحيث أصبح نظمه ذاتي متأججا بالمشاعر والعواطف ومنه بدأت إحدى قصص حب بدر إذ تشهد في قصيدة بعنوان"على الشاطئ" فيها يبث تجربته العاطفية التي جمعته بابنة عمه صالح السياب التي لم يصرح باسمها لكنه يكني عنها باسم هند يقول: [2]

انقضى الليل فالفجر ولكن هل أتت هند؟

جلا من طيفها النهر فأين الحب والعهد؟

سدى قضيت أيامي

على شاطئ أوهامي

ولا صعود ولا قرب

فردي بعض أوهامي

---

[1]– حميد الشابي، الكائن والممكن في قراءة الشعر العربي المعاصر، مركز دراسات الوحدة العربية، بيروت، ط1، 2013، ص 23.

[2]– ينظر: بثينة علي إبراهيم مرزوق، الأدب السياسي و الحداثة في الشعر العربي، ص 38.

يتساءل بدر في هذا المقطع عن ضياع الحب وإخلاف العهد وعن المحبوبة التي تركته وحيدا على شاطئ من الأوهام دون خبر ودون الوفاء بالعهد ودون تحقيق القرب،وفي ما يذكر اسمها الحقيقي وفيقة «إذ كانت من الحوادث التي أثرت فيه تأثيرا عميقا ذلك أنها تزوجت وظلت تمثل الحلم الممتنع بالنسبة له وقد عكس ذلك في شعره فيما بعد»[1] في قصيدة بجزءيها "حدائق وفيقة" و" شباك وفيقة" حيث جسدت سر كل ما هو مثالي بالنسبة له ولكن في الأخير تركته حائرا بلا جذور»[2].

لقد كان الانتقال إلى بغداد تجربة جديدة على السياب إذ به يجد نفسه وحيدا غريبا عنها، فأحس بالضياع ولم يأنس بالمدينة التي يكتنفها الغموض والوحشة ولأنها لم تستطع أن تمحو صورة جيكور وذكرياتها المفعمة بالحياة والفرح والبراءة، ولم تستطع بغداد أن تطمس ملامح جيكور الحبيبة في نفسه ومخيلته، فأخذ يسترجع ذكرياته إذ به يتذكر إحدى قصص حبه التي جمعته مع الراعية "هالة" التي تعرف عليها وخفق قلبه لها، حيث كان يلقبها باسم الدلع هويل «وتنطق محليا هيلة، بدوية من إحدى القبائل العربية التي تعيش في الحدود الإيرانية، ثم انتقل أهلها فسكنوا في أرض لهم بأبي الخصيب، وفي إحدى السنوات غطى الماء أراضيهم فأعطاهم السياب الجد قطعة من أرضه ليقطنوا فيها»[3]، فحينها تعلق السياب بها وأصبح هو الثاني يحرص غنم جده ومن ثمة يتقابل مع محبوبته هالة ومن كثرة الوحدة والغربة استرجع ذكرياته المرتبطة بالريف، حياته المليئة بالبراءة والصفاء ليأنس خاطره ويزيح عبء المدينة الكبير وتذكر هالة والقطيع دليل على قوة الانفعال بها وعن حبه وعشقه لها، يقول في قصيدة «ذكريات الريف»:[4]

---

[1]– بدر شاكر السياب، الديوان، مج1، ص 15.

[2]– ينظر: بثينة علي إبراهيم مرزوق، الأدب السياسي و الحداثة في الشعر العربي، ص 55.

[3] – إحسان عباس، دراسة في حياته و شعره، ص 28.

[4] – بدر شاكر السياب، الديوان، مج1،ص 107.

وما كنت لو لم أتبع الحب راعيا ولانصرفت نحو المروج خواطري

إليها طويت الليل بـــالليل صابيا وطاردتها(مستهونا) بالمخاطـــر

وقبلت حتـــــــى البهم لما رأيتها تقبل تلك البهم قبلة ثائـــــــــــر

فقد أهتدي فـــــــي قبلة إثر قبلة إلى أثـــــر من ثغرها غير ثائر

إن تأثير العشق بادي على كلمات السياب إذ به يخاطر من أجل لقاء المحبوبة ولم يقف الوضع عند هذا الحد بل تعدى إلى درجة أنه قبل البهم التي كانت تقبلها هالة متوهما صورتها فيها ومتخيلا ثغرها وراجيا القبل المتبادلة منها: «حيث لا يخفى أن الحنين إلى الرعاة يؤرقه، وكانت صورة"هالة" ما تزال تعيش في قلبه، رمزا لكل ما يحب في الريف»[1].

كانت دار المعلمين في عام تقوم بتنظيم مهرجانات ثقافية وأدبية لطلبتها بغية الاحتكاك والتعارف وتبادل الثقافات وتبيان القدرات وفي ظل هذه الأجواء استمالت واستهوت بدر حيث خففت بعضا من وحدته وإذ به يجد أبواب الشهرة تنفتح له خاصة بعدما أصبحت مشاعره تفيض من منابع الرومانسية وفي هذه الظروف تلاشت وحشة المدينة في خاطره وأصبح يدخل في علاقات مختلفة حينما تعرف على طالبة تدعى لبيبة: «وكانت تكبره بسبع سنوات وكانت تحب أن تلبس منديلا أحمر على رأسها أو حول عنقها»[2]، تعرف عليها من خلال الأنشطة المتكررة في دار المعلمين فجذبته إليها بأناقتها وجمالها وبملابسها الأنيقة فأسقط عليها حبا ولكن هذا الحب يختلف عن أي حب لأنه اقترن بحنينه لأمه كما مثل هذا

[1] – إحسان عباس، دراسة في حياته و شعره، ص 34.

[2] – عيسى بلاطة، بدر شاكر السياب، حياته وشعره ، ص 35.

الحب « نقله إلى عالم آخر في دنياه وهو عالم والدته...فكان يرى في لبيبة صدر أمه الحنون يعاوده»[1].

لا يغفل عن البال أن بدر أحس بشيء ما يجذبه ويهزه هزا للبيبة التي شملته بحب أمومي حيث أبصر النور مجددا حين لقاها «وما فتئ يبحث عن"أم" وهذه أم وحبيبة معا»[2]، يقول في قصيدة يخاطبها: [3]

خيالك من أهلـــــي المقربين أبر وإن كان لا يعقـــــــــل

أبي منه قد جردتني النســاء وأمي طواها الردى المعجل

ومالي من الدهر إلا رضاك فرحماك فالدهـــر لا يعدل

يسرد بدر في هذا المقطع مكانة لبيبة لديه، إذ أضحت في نظره من أهله المقربين واصفا لها غدر الزمان الذي لا يعدل وعن حرمانه من عطف أمه التي وافتها المنية في ريعان شبابها، وعن النساء التي جردته من عطف وحب أبيه وعن الفجوة الكبيرة التي أحدثها الزمان الذي لا يعدل « لكنه لا يخاطب لبيبة كما يخاطب الحبيب حبيبته، بل كما يخاطب الطفل أمه، وهو لا يخاطب لبيبة نفسها، لأنه لا يريد أن يجعل من حبه واقعيا بل يخاطب خيالها»[4]، لكن من سوء حظه لم يكن هذا القرب والحب متبادل وغير متكافئ من الطرفين بل كان من جهته فقط إذ يقول: [5]

أغض إذا ما بدت ناظـــــري فهيهات تعلم كـــم سهدا

---

[1]– سالم المعوش، بدر شاكر السياب، نموذج عصري لم يكتمل، ص 32.

[2] ـ إحسان عباس، دراسة في حياته و شعره، ص 35.

[3] – بدر شاكر السياب، الديوان، مج1، ص 121.

[4]– نفسه، ص 61.

[5] – سالم المعوش، بدر شاكر السياب، نموذج عصري لم يكتمل، أراها غدا، ص 611.

ولـــــــو أنها نبئت بالغرام غرامـــــــــــــي لقربت المنشدا

وقالت أأعطى نداء المحب حرمت الهوى إن عصيت الندا

يتعذب الشاعر بحبه لذات المنديل الأحمر في صمت وقهر مزّق قلبه المتعطش للحنان كما يذكر أنها لا تعلم شيئا من هذا الحب ولو أنها علمت لاختلف الحال عن ما هو عليه وما بات يتخبط في أوجاعه وآهاته[1] .

بينما هو وحيد يجول في ذهنه فارق السنوات التي تفصل بينهما حيث يقول: [2]

مشى العمر ما بيننا فاصلا فمن لي بأن أسبق الموعدا

ومن لي بطي السنين الطوال ستمضي دموعي وحبي سدى

وكأنه في هذه الأبيات يتنبأ بأن هذه العلاقة ستمضي في مهب الريح وأن دموعه وحبه ذهبت سدى ولأن العمر كان بينهما فاصلا مانعا «وتلك الحقيقة لا أثرها في الحب... إذ كان السياب هو المفتون»[3]، غير أن تعطشه للحب وللجنس الآخر أوضح له بأن القلب تهون عليه كل الصعاب وأنه يستطيع أن يطرح فارق الزمن جانبا فيقول بذلك: [4]

أراها فاذكر أنـــــي القريب وأنسى الفتى الشـــارد المبعدا

أراها فأنفض عنها السنين كما تنفض الريح بردى الندى

فتغدو وعمري أخو عمرها وسيتوقف المولد المولـــــــــدا

---

[1]– ينظر: إحسان عباس، دراسة في حياته و شعره، ص36.

[2]- سالم المعوش، بدر شاكر السياب، أنموذج عصري لم يكتمل، أراها غدا، ص 611.

[3]– إحسان عباس، دراسة في حياته و شعره، ص 35.

[4]– سالم المعوش، بدر شاكر السياب، نموذج عصري لم يكتمل، أراها غدا، 611.

إن المحب لا يرى عيوب محبوبه بل يتغافل عنها ويتجاوزها مادام القلب مولع ولهان إذ أن السياب نفض الغبار عن السنين التي تفصل بين ذات المنديل الأحمر وبينه فيغدو عمرها أخو عمره وبذلك «فإنّ الفتى مفطور على الانجذاب نحو عروس خياله»[1].

تخرجت لبيبة ولم يعرف مصيرها وانقطعت العلاقة التي كانت تجمع بينهما أو بالأحرى متوهما أنه كان على علاقة معها كما أنها لم تترك أية بصمة واضحة في حياته بل كانت نزوة عابرة، غير أن طيفها لم يفارقه وظل يراوده لكن لا حياة لمن تنادي، فيقول في هذه الأبيات : [2]

وتلك لأنها في العمر أكبر أم لأن الحسن أغراها

بأني غير كفء، خلفتي كلما شرب الذي ورق

يصور بدر سبب ابتعاد ذات المنديل الأحمر عنه فيرجعه تارة إلى كبر عمرها وتارة إلى حسنها الذي أغرها معتقدا في نفسه أنه غير مناسب لأن «كل حظه منها أنها كانت جميلة، أما قلبها فلم يخفق بحبه»[3]، لقد ألّف من أجلها قصائد «ومما يلفت النظر أن القصائد الموجهة إلى ذات المنديل الأحمر ثلاث كلهن ينبعن من نغمة ... وهي "أغرودة" و"أراها" و"خيالك"»[4].

لم تمض عزلة بدر فترة طويلة وها هو ذا يقف من جديد ليجد نفسه يُسحر بفتاة أخرى في دار المعلمين «وإذا "الأقحوانة" هو الاسم الجديد لمحبوبته... والأقحوانة هو الاسم الآخر

---

[1]– مدني صالح، هذا هو السياب، أوجاع و تجديد و إبداع، دار الرشيد للنشر، الجمهورية العراقية، دط، 1981، ص 17.

[2]– بدر شاكر السياب، شناشيل ابنة الجلبي و إقبال، ص 60.

[3] – إحسان عباس، دراسة في حياته و شعره، ص 42.

[4] – نفسه ص 47.

للأديبة ديزي الأمير»[1]، هذه الفتاة تختلف عن سابقاتها لأنها موهوبة بالفطرة فهي تتذوق الشعر بروحها الشفافة إلى جانب أنها تميل إلى الأدب بفنونه المختلفة حيث شاءت الأقدار أن تصبح كاتبة قاصة كذلك تشهد لها الساحة الأدبية عدة مجموعات قصصية.[2]

لكن « غير أن إعجابه بها لم يرتق إلى مستوى الحب ولكن رقتها حركت مشاعره بوجد المحروم»[3].

ذاع صيت الشاعر وازدادت شهرته وفاض شعره إذ أضحى معروفا في كامل الأرجاء حيث اكتسب وفدا من المعجبين « قصة الشاعر معها بدأت بإعجابها بشعره حين تناقلته زميلاته في دار المعلمين، فطلبت ديزي منه أن يطلعها على شيء منه، ففعل بعد أن كتب بعض قصائده في دفتر خاص سلمه إليها»[4].

ومن حسن حظ الديوان أنه صار ينتقل ويتجول بين أحضان العيد عكس صاحبه الذي قتلته الوحدة والبعد عن الجميلات اللواتي أعرن مكانة للديوان بدل الشاعر نفسه إذ يقول: [5]

ديوان شعر ملؤه غـــــــزل بين العذارى بـات ينتقل

أنفاسي الحرى تهيم على صفحاته، والحب والأمل

وستلتقي أنفاسهن بـــــــها وترف فــي جنباته القبل

---

[1]– سالم المعوش، بدر شاكر السياب، نموذج عصري لم يكتمل، ص 30.

[2]– ينظر: نفسه ص 30.

[3]– إحسان عباس، دراسة في حياته و شعره، ص 36.

[4] – سالم المعوش، بدر شاكر السياب، نموذج عصري لم يكتمل، ص 30.

[5] – بدر شاكر السياب، الديوان، مج1، ديوان شعر، ص 352.

لا ريب أن ديوان بدر يحمل الكثير من الحب والغزل معبرا عن ما يخفيه صاحبه من أمل، إذ أن خياله لا يجمع إطلاقا بل في توسع دائم حيث بات يفكر بما تفكر به الجميلات اللواتي استعرن ديوانه وبرد فعلهن حين تناقله بينهن إذ يقول: [1]

ولما يحين النـــــــــــوح والشكوى كل تقول: من التـــــي يهوى؟

وسترتمي نظراتهن على الصفحات بين سطوره نشـــــــــــــــوى

ولسوف ترتج النهود أســـــــــــى ويثيرهـــــا ما فيـــــه من بلوى

ولـــــــربما قرأته فاتتـــــــــــــي فمضت تقول: من التي يهوى؟

يتوهم بدر أن الديوان لقى كثيرا من العناية فكل من تحمله تتأمل صفحاته بشوق وحب وكم من غادة ضمته إلى صدرها لإثارته لها حتى أنها تسائله عن صاحبه وعن التي يهوى ومن ذلك الحين ذهبت به الأخيلة مذاهب ظنا به أن الفتاة مولعة به وأنها متيمة بحبه فأخذ يحلم بالسعادة التي حظي بها ديوانه فهو تارة فوق النهدين أو بين اليدين الناعمتين وتارة تحت وسادتها وقد قال في ذلك شعرا: [2]

يا ليتني أصبحت ديواني أختال من صدر إلى ثان

قد بتُ من حسد أقول له يا ليت من تهواك تهواني

ألك الكؤوس و لي ثمالتها ولك الخلود وأنني فان

كان ديوان بدر يتنقل في المعهد من فتاة إلى فتاة وليس بالمستغرب أن يتمنى أن يكون مكان ديوانه الذي لم يبارح الأيدي الناعمة كما حسده على الفرصة التي حظي بها من

[1]– بدر شاكر السياب، الديوان، مج1، ديوان شعر، ص 352.

[2]– نفسه، ص 353.

طرف الحسناوات حيث تمنى أن ينال من الحب والهوى ما ناله ديوانه إذ خاطبه بنبرة تملؤها الغيرة ولم يقف الحال على هذا الحد فقط بل تجاوزه إلى قوله أن المستفيد الكبير والخالد هو الديوان أما ناظمه فهو فان لا محالة ويكمل في قوله: [1]

كم غادة شاهدت مخدعها ومضيت تسهر ليلها معها

قد هزها شوق لمتعســف أمســى هواه يسيل أدمعها

فمضت تذيع إليك قصتها و تبث هما فــل أضلعها

حقيقة أن ما ناله الديوان حرم منه بدر فهذه الأبيات تشهد على أنه كان في جو ملؤه العطف والحنان فكان أنيسا للغيد فهو يسهر الليالي معهن كما تفتحن قلبهن له وتروين له قصصهن وتبثن همومهن وآمالهن، لكن ليس للذي يتلهف عطشا لمثل هذه الأمور بل لدفتر جامد لا يبادل الأحاسيس يأتي بعد ذلك ليقارن حاله بحال ديوانه .

فيقول: [2]

سأبيت في نوح و تسهيد وتبيت تحت وسائد الغيد

أو لست مني؟ إنني نكد ما بال حظك غير منكود

زاحمت قلبي في محبته و خرجت منها غير معمود

ليس بالغريب أن يغبط بدر قصائده التي تبين تحت وسائد الغيد وهانته فيما أن كاتبها ينام وحيدا على سرير العزلة والوحشة القاتلة والتجاهل ويلومه على أخذ منزلته وأفسد عليه حبه ويتساءل إن كان منه حقيقة أو أنه لا يقربه إطلاقا فيرى أن حظه نكد عكس دفتره.

---

[1]- بدر شاكر السياب، الديوان، مج1، ديوان شعر، ص 353.

[2]- نفسه، ص 132.

يوجه السياب تحية كانت حبيسة في صدره لكن ليس للحبيبة بل للديوان يقول: «إلى ديواني العائد من تجواله بين العذارى ... إلى ذلك الزورق المتنقل بين موج "النهود" أرفع زفرتي»[1].

يقول:[2]

أنلت من عطفهن يا ورق ما لم ينله المسهد الأرق

فكنت منديل كل باكية منهن ينتاب روحها القلق

سددت أنظارهن نحوك يا ديوان شعري، و لست تحترق !

يكرر بدر الحديث عن حسده للديوان حيث شبهه بالزورق المتنقل بين أمواج النهود كما يسأله إن كان قد نال من العطف ما يكفيه، والمتحصل عليه دون عناء وشقاء عكس الذي يحترق بنار الوجد والاشتياق، رغم بحثه المتواصل عن التي تشفي غليله بعطف ينسيه آهاته، وتغمره بالعطف والحنان، كما تمنى أن تتحول نظراتهن إليه ويصرفنها عن ديوانه ليطفئ نار الغيرة التي بداخله[3].

ظل السياب متعطشا لأقحوانة حيث أنها لم تغب عن ناظريه ولو لوهلة ومرة أخذت على مرآى من بدر تتجول في ساحة المعهد وتحمل وردة بيدها وأخذت تنثر أوراقها فإذ به ينظم قصيدة " الوردة المنثورة" يقول فيها: [4]

فانثري الزهر كل يوم ليحيا في فؤادي و يرتوي بدمائي

---

[1]- بدر شاكر السياب، الديوان، مج1، ديوان شعر، ص 132.

[2]- نفسه، ص 133.

[3]- ينظر: إحسان عباس، دراسة في حياته و شعره، ص 37.

[4]- بدر شاكر السياب، الديوان، مج1، ص 130.

انثريه لتلهمي قلبي الغض فيشدو لحون أهل السماء

يطلب بدر من ديزي أن تنثر أوراق الزهر كل يوم لتزرع في فؤاده الحياة و تروي قلبه الظمآن فتصرفها زاده حبا وأملا في أن تتطور علاقتهما، « وكان من عثرة حظ السياب ووفرة حظ الشعر أن أدى دور المسكين الحالم»[1].

ومرة جمع بين الزهرتين "ديزي" و"زهرة الأقحوان" في قصيدة يقول فيها: [2]

ماذا ينال القلب يا ويحه إذ يعطف الروض ولا تعطفان

وأي جدوى في أغاني الهوى إذ تسمع الدنيا ولا تسمعان

وأي خير في الهوى كله إن كنتما بالحب لا تعلمان

يتحسر المسكين الخالم على الزهرتين اللتان لا يعلمان ما يكنه اتجاههما من حب وعشق ويتساءل عن ما الجدوى إذ كانت لا تسمعان أغانيه التي ينشدها لهما وعن الحب والهوى المغروس في أعماقه مادامتا تجهلان صدق وجده وتعطش روحه.

ويكمل في قوله: [3]

يا زهرتي قد مت يا زهرتي آه على من يعشق الأقحوان

لولا التي أعطيت سحر اسمها ما بت استوحيت سحر البيان

سحر بدر بالزهرتان وتيم بالأقحوان الذي تتسم فيه رائحة لا مثيل لها إذ هي رائحة الحب والعطف الذي طالما جال في الأرض من أجلهما، ليسُد ثغرة لم تكتمل منذ أمد بعيد

[1]- مدني صالح، هذا هو البيان، ص 13.

[2]- بدر شاكر السياب، الديوان، مج1، ص 134.

[3]_ نفسه، ص 134.

منذ أن رحلت مالكتهما، ها هو بدر يعود كسير القلب كباقي المرات فالخيبة تلاحقه أينما حلّ، فالأقحوانة لم تبادله الحب ولم تنسه قط مرارة الفقد.

لم يتوان هذا المسكين الحالم في إيجاد فتاة أحلامه فما لبث أن انجذب إلى فتاة مسيحية الديانة في تجمع طلابي فهي تملك صوتا عذبا طروبا وتدعى"أليس" ، فحاول أن يستميلها بشعره، لكنها عاملته بجفاء وتكبر عكس مثيلاتها حيث أن تصرفاتها ثقيلة وابتسامتها قليلة جدا يقول الشاعر في هذا الصدد: [1]

تأبى أليس على أن تتبسما فترد قلبي هانئا منعما

يا صوتها الطرب الحنون ولا أرى أني سمعت أرق منه وأرخما

طف بي لأقبس من صداك قصائدي وأصوغ في شعري حلاك منمنما

لو عاشق دنف سواي أحبها مثلي تركت له الهوى فتنعما

يرى بدر أن أليس لو تبسمت لحولت حياته إلى نعيم وهناء كما مدح صوتها الحنون الطروب وأقرّ أنه لم يسمع أرق وأعذب منه غير أنها لم تعره اهتمامها، وانساقت إلى صاحب الوسامة والثراء وتزوجت به ومضى الشاعر في سبيله مكسور الخاطر ليعود إلى أحلامه لأنه لا يملك هاتين الميزتين[2]، حيث توالت الخيبات العاطفية على السياب ولم يكن الحظ حليفه ولربما بسبب خجله وارتباكه من الفتيات وعجزه عن التعبير والإفصاح بمكنوناته وبحبه في كل مرة «إذ أن لدى السياب من المرأة خجلا فطريا لا سيما حين تكون قريبة منه، ربما كان يحبها بعيدة، حيث يحسن مناجاتها بالشعر ومخاطبتها، وتستهويه مكاشفتها بعواطفه

[1]- بدر شاكر السياب، الديوان، مج1، ديوان شعر، ص 134، 135.

[2]- ينظر: سالم المعوش، بدر شاكر السياب، ص 32.

والتغزل بها، لكنها حين تكون قريبة منه فإنها تثير فيه الارتباك وقد تفقده أحيانا قدراته البلاغية الكامنة في التجاوب وحسن المخاطبة »[1].

حرم الريفي من الجنس الآخر والحب ويعود ذلك إلى نقص ثقته بنفسه وبحكم تمسكه بعاداته ومبادئه وعدم جرأته على المواجهة والخوض في ما يخص قلبه وعواطفه، غير أن نار الشهوة ظلت تحرق وجده وكيانه وتزيد لوعة واشتياقا للمرأة الحقيقية الملموسة « وكانت قضية الجنس تشعله أولا وقبل كل شيء، ولم لا؟ لقد كان الشباب القروي يريد أن يكشفها، أن يغرف من معينها أكثر، ويريد أن يجعل من حلمه في امتلاك امرأة حقيقية حية معاشة»[2].

فكان يفترس كل وجه جميل أمامه ولفرط اشتياقه للنساء أصبح يلاحقهن حتى في بيوت البغاء وهذا دليل على أن قلبه مولوع بالرغبة إلى حد بعيد حتى بلغ إلى قوله "ولأحقرن الروح" لأنه افتتن بالجسد والغواية[3]. و«في قصيدة تربو على ألف بيت تقريبا، ضاع معظمها، وفيها يعبر بدر بعنف عن جوع جسده الجنسي ويضع جانبا كل الاعتبارات الخلقية»[4].

يقول في قصيدة بعنوان" شاعر الشهوة":[5]

تلك الدماء بقلبه المتضرم تغلي فتدفع جسمه للمآثم

رد الهوى أحلامه مشبوبة نارا فحلل فيه كل محرم

---

[1]– عبد اللطيف أطميش، بدر شاكر السياب،–في أيامه الأخيرة–، جداول للنشر و الترجمة و التوزيع، بيروت، ط1، 2015، ص 27.

[2]– بدر شاكر السياب، الديوان، مج1، ص26.

[3]– ينظر: إحسان عباس، بدر شاكر السياب، دراسة في حياته و شعره، ص 61.

[4]– سالم المعوش، بدر شاكر السياب، ص 29.

[5]- بدر شاكر السياب، الديوان،مج1، ص 413.

يبين بدر في هذا المقطع أن جسمه يسوقه للمآثم وأن جوعه الجنسي أدى به أن يحلل ما هو محرم وأحلامه بالمحبوبة ونيلها غدى نار تشتعل بداخله إثر حرمان دام طويلا.

وفي قصيدة أخرى بعنوان"حديث" يقول: [1]

أهوى مفاتن جسمك المستسلم وهوى لذائذه مُزجن بمآثم

جسد عليّ أراه بات محرما وعلى حقير الدود غير محرم

لأطوحن بكل عرف سائد ولأعبثن بكل أي محكم

لأهتكن على الفضيلة سترها ولأصغيّن لما يقول به دمي

تفاقم إحساس الجوع الجنسي لدى السياب حتى أضحى كافرا بالفضيلة غير مبالي بالأعراف السائدة مؤمنا بالشهوة، حيث يسرد حرمانه من الجسد والمفاتن على خلاف الدود الذي ينال منه في الآخر دون أي قيد فشوق غريزته لملامسة المرأة جعله يهتك القيود والمبادئ ليشفى غليله.

وفي ظل النارين المستعرتين في أعماق بدر بين حبه العذري وشهوته الجنسية، عاش هذا المحروم على بحر العواطف وهو يفتش عن ميناء الخلاص لكن دون جدوى ولا أمل، وأرجع هذا الفشل لدراسته التي أصبح يمقتها لأنها تحد من وقت فراغه الذي كان يجب أن يقضيه متنعما بشبابه[2]، وفتوته غير أن الكتب ألهته وأنسته حق ذاته إذ يقول: [3]

سجين و لكن سجني الكتاب وأغلالي الآسرات السطور

---

[1]- بدر شاكر السياب، الديوان، مج1، ص 316.

[2]- ينظر: عيسى بلاطه، بدر شاكر السياب، حياته و شعره، ص 38.

[3]- بدر شاكر السياب، الديوان، مج1،ص131.

فما بين جنبيه ضاع الشباب وفوق الصحائف مات السرور

لقد اعتبر بدر أن الكتاب سجنه والسطور أغلاله وتأسف على حياته التي ذهبت أدراج الرياح بين الكتب الجامدة حيث ضاع الشباب ومات السرور.

عاش السياب عدة تجارب غرامية حيث ظل يتنقل من غادة إلى أخرى لكن من سوء حظه لم يظفر بالتي تغمره بحنانها وتعوض ما افتقده من ود وحب إثر منية أقاربه المتوالية، ضف إلى ذلك عثراته في الحب التي باءت كلها بالفشل، غير أن لهفته و تعطشه للمرأة و الحب لم تطُمس من قلبه، فأخذ يمني النفس في إيجاد رفيقة دربه التي تمحي كل لحظة قاسية عاشها « وكان يمني النفس بالحبيب المجهول الذي ينتظره وهو كما يعتقد لابد آت في وقت من الأوقات »[1]. فظلّ السياب يرتقب القدر الذي يحمل إليه هذه المنتظرة متأملا أن تكون هي الزوجة التي تحمل في أحشائها أبناءه ففي نظره لا معنى للحب إذ لم ينته بالزواج حيث قال :[2]

يشرف الحب جامعا بين زوجين بصفو الحياة أو في شقاءها

فإن الحب الحقيقي بالنسبة لبدر هو ذلك الذي يجمع القلبين تحت سقف واحد حيث يتبادل الزوجان شقاء الحياة وهناها وحلوها ومرها .

جاء اليوم الموعود الذي كان يتلهف إليه بدر ولربما اجتمع شمله أخيرا بالمنتظرة في دار المعلمين حين التحقت لميعة عباس بها وهي فتاة «سمراء جميلة في الثامنة عشرة من عمرها، رشيقة القد، حوراء العينين، ..... وكانت متزنة مقتصدة في علاقاتها، نائمة

[1]– سالم المعوش، بدر شاكر السياب، ص 37.

[2]– بدر شاكر السياب، الديوان، مج1، ص 202.

الصوت، وكانت إلى ذلك رقيقة الحس شاعرة »[1]، تعرف عليها بدر وانجذب إليها وأحس أنها هي المنتظرة فتفتحت نحوه زهور الحب من جديد خاصة لأنها شاعرة مثله.

يقول في قصيدة عنها: [2]

وتلك؟ وتلك شاعرتي التي كانت لي الدنيا وما فيها

شربت الشعر من أحداقها وتعست في أفياء

تنثرها قصائدها علي، فكل ماضيها

وكل شبابها كان انتظارا لي على شط يهوم فوقه القمر

يرى بدر أن لميعة هي شاعرته الأثيرة وأنها أضاءت له دربه وكأن روحها امتزجت مع روحه، كما أنها ملهمته في الشعر لتوافقها الفكري وانسجامهما مع بعض فهي بالنسبة له "المنتظرة" وهو بالنسبة لها "المنتظر" فالشاعرة رقيقة بطبعها حيث كانت ترى في بدر وجه النبيّ الوديع إذ يقول: [3]

لعينيك أنت يلذ العذاب وسيتعذب القلب مُرّ الشراب

ففيك عرفت النبي الوديع وما كنت أعرف إلا ذئاب

تصف لميعة بدر بالنبي الوديع وأنه ألطف رجل عرفته في حياتها فهو يختلف تماما عن الذئاب المفترسة التي سبق لها أن عرفتهم حينها « تأكد في نفسه أن لميعة هي الفتاة

---

[1]- سالم المعوش، بدر شاكر السياب، ص 38.

[2]- بدر شاكر السياب، شناشيل ابنة الجلبي وإقبال، ص 38.

[3]- سالم المعوش، بدر شاكر السياب، ص 45.

التي كان ينتظرها كل حياته، ولم يكن ذلك الشعور القوي الغامض اتجاههما إلا حبا حقيقيا، فهي المنتظرة التي كان يهفو إليها في شعره ».[1]

ولقد مثل هذا الحب أول تجربة حقيقية مباشرة يقيمها بدر مع فتاة، فعلاقتهما يملؤها التوافق والتبادل حتى أنه استطاع أن يطبع على ثغرها القبلة الأولى حينها توثقت أواصر الحب وازدادت لوعة في قلب المسكين الحالم فها هو ذا أخيرا يلامس امرأة حية حقيقية: لكن لميعة أصرت على أن يكون لقاؤهما هذا هو الأخير بسبب العادات الاجتماعية التي تقف حائلا بينهما لأنها منعت من لقاءه بشدة كذلك عائق الدين فكل وعقيدته هذا ما أزّم العلاقة بينهما وفي قصيدة" اللقاء الأخير" [2].

يبث حزنه قائلا: [3]

هذا هو اليوم الأخير؟ !

وا حسرتاه ! أتصدقين؟ ألن تخف إلى لقاء؟

هذا هو اليوم الأخير، فليته دون انتهاء !

ليت الكواكب لا تسير

و الساعة العجلى تنام على الزمان فلا تفيق !

خلفتني وحدي، أسير إلى السراب بلا رفيق

---

[1]- عيسى بلاطة، بدر شاكر السياب، حياته وشعره ، ص 52،53.

[2]- ينظر: سالم المعوش، بدر شاكر السياب، ص 40، 41.

[3]- بدر شاكر السياب، أزهار و أساطير، ص 23.

يتحسر الشاعر في هذا المقطع كون هذا اللقاء هو الأخير فيتمنى لو أن كل متحرك يقف ويسكن والساعة العجلى تنام دون أن تفيق فيدوم هذا اللقاء ويتمتع بالسمراء الجميلة التي هدأت لواجع قلبه والتي كانت معينة في كل شيء فعلاقته بها تنوعت إذ « جمعتهما رابطة الأدب والشعر والسياسة، كان عضوا في الحزب الشيوعي العراقي، وكذلك كانت هي، كلاهما كان يبحث عن الحنان الذي افتقده، في موت والدها وموت والدته... كانت بورجوازية ثرية وكان فقيرا معدما تقول لميعة: كان يتهمني بأني مترفة وهو جائع»[1]، فالتباين بينهما كان في الثراء والدين والتوافق كان في الشعر والحب حيث كانت بطلة تحاربه العاطفية فسماها بالإمبراطورة لمكانتها الرفيعة في قلبه إن الحب ركيزة أساسية في حياتنا، إذ هو ليس ضعفا في الشخصية كما يتبدى للبعض، إنما الحب ضرورة حياتية يتسلل إلى القلب سواء إن شاء صاحبه أو أبى خاصة إذا تخلل قلب شاعرين مرهفي الإحساس والشعور فلا عجب أن يصرح كليهما بما يحسان به سرا وعلاناً نثرا أو شعرا و من أبلغ التعابير عن الحب قول الشاعرة « سأهواك حتى تجف الدموع»[2]، لكن بدر خسر جولته مرة أخرى في الحب وغدا وحيدا مجددا فتبسم الحياة له لم يدم طويلا حيث قال في قصيدة بعنوان "ستار" : [3]

كالشاطئ المهجور قلبي لا وميض ولا شراع

في ليلة ظلماء بلّ فضاءها المطر الثقيل

لا صرخة اللقيا تطيف به ولا صمت الرحيل

---

[1]- سالم المعوش، بدر شاكر السياب، ص 45.

[2]- ينظر: نفسه، ص 37.

[3]- بدر شاكر السياب، أزهار و أساطير، ص 63.

جسد بدر في هذه القصيدة الصورة الحقيقية التي آل إليها حيث استشعر طعم الفشل والخيبة بعد رحيل منتظرته بشكل حاسم وشبه قلبه بالشاطئ المهجور الذي لا يأنس له أحد وهذا الحدث جعل منه قلقا مضطربا فانطوى على نفسه ودخل في حالة نفسية حادة .

ب_ بعض العقد النفسية في شعر السياب تجاه المرأة:

مثّلت المرأة هاجسا فعليا لدى بدر إذ أنه رسم لها عالما سحريا لأن موضعها أصبح معقدا داخل نفسيته ويعود ذلك إلى أسباب عدّة منها « وفاة أمه من جهة وهو بعد صغير، وإلى طبيعة المرأة في ريف عربي متخلف كالريف في العراق »[1].

ومنذ ذلك الحين تكوّنت شخصية بدر تتذبذب خاصة اتجاه المرأة لأن حضورها جد مأزوم الذي يبدأ بفراق الأم ثم الجدة الحنون وصولا إلى خيباته المتوالية في التجارب العاطفية التي أثرت عليه كثيرا خصوصا أنه كان يبحث عن الصدر الحنون الذي ينسيه لوعته فراق ذويه غير أن مراده لم يتحقق في الريف لأن علاقته بالمرأة الريفية شبه خيالية بحكم العادات والتقاليد التي تمنع التقاء الجنسين أما في المدينة فعكس ذلك إذ أن المرأة أصبحت على تماس بالرجل وكان بدر مولوعا بالفتيات داخل المعهد لكن من سوء حظه لم يظفر بالحب من طرفهن وأحسّ بدر أن المدينة وفتياتها عابثات بالقلوب.[2]

ليس هذا السبب الوحيد الذي جعل بدر بعيدا عن الحب والمرأة، كذلك خجله المفرط الصادر عن نفس معقدة مريضة ، فهو لا يقوى على مواجهة المرأة والنظر في وجهها فما بالك أن يتقرب منها ويحادثها عن شؤون قلبه وعن مكنوناته، وعبّر عن إخفاقه لصديقه خالد

---

[1]- بدر شاكر السياب، الديوان، مج1، ص 23.

[2]- ينظر: إحسان عباس، بدر شاكر السياب، ص 61.

الشواف قائلا: « أصبح من الصعب علي أن أنفي عن نفسي تهمة الشذوذ ولا سيما في الحب»[1]، فخجله حرمه من تذوق طعم الحب.

لكنه سرعان ما ألصق تهمة الفشل والإخفاق الدائم إلى شكله الذميم وافتقاره للوسامة حيث وصفه إحسان عباس قائلا: « غلام ضاو نحيل، كأنه قصبة، ركب رأسه المستدير كحبة الحنظل، على عنق دقيقة تميل إلى الطول، وعلى جانبي الرأس أذنان كبيرتان، وتحت الجبهة المستعرضة التي تنزل في تحدب متدرج، أنف كبير يصرفك عن تأمله أو تأمل العينين الصغيرتين العاديتين، على جانبيه فم واسع تبرز"الضبة" العليا منه ومن فوقها الشفة بروزا يجعل انطباق الشفتين فوق صفي الأسنان...وتنظر مرة أخرى إلى هذا الوجه"الحنطي" فتدرك أن هناك اضطرابا في التناسب بين الفك السفلي....و بين الوجنتين »[2]، ومن سوء حظه أنه ورث الضعف الجسماني عن أبيه ولربما كان هذا القفل المصمت على القلوب العديدة التي حاول أن يفتحها فقلوب العذارى قلما تنبض بحب شاب دميم لأنهن يملن إلى الوسامة والقوة والمظهر الجميل.[3]

وفي موقف تعجب من كون صديقه خالد أنه لم يعرف الحب وقد صرّح له بأن أسماء الفتيات في قصائده الغزلية هي من نسج الخيال « جن جنون بدر دهشة، كيف يمكن ذلك؟ صديقه نموذج حي للوسامة والعافية، ثم لا يعرف فتاة من لحم ودم؟»[4].

تتبدد الأفكار لدى بدر على أن الوسامة ليست هي السبيل الوحيد في الفوز بالحب وأن القبح هو العقبة التي تمنعه، ذلك أن صديقه الوسيم هو كذلك لم يستشعر الحب الحقيقي إذ

---

[1]- سالم المعوش، بدر شاكر السياب، ص 33.

[2]- إحسان عباس، بدر شاكر السياب، ص 15.

[3]- ينظر: خالد فياض الشرفات، المؤثرات الاجتماعية في نشوء الشعر، ص 410.

[4]- إحسان عباس، بدر شاكر السياب، ص 22.

يجمع بين حالته وحالة صديقه، فيقول: « أحق أن... و ... عاشتا في بالك فقط؟ أأصدق أنك لم تعرف الحب؟ أ أنت مثلي لم تعرف فتاة بعينها؟...أأنت مثلي محروم من العاطفة لا يرى قلبا يخفق بحبه؟ لا، فأنت وإن صدقت في زعمك لست مثلي و أرجو ألا تكون مثلي إن شاء الله»[1].

مرت السنون وبدر يهفو إلى الحب ولكن لم يجده إثر قلقه من شكله غير الوسيم حتى أنه واجه عدّة تعليقات من زميلاته في دار المعلمين حتى أن إحداهن قالت بصوت مسموع وكان اسمها نهاد «أنظروا – هذا طالب من الصين»[2]. فردّ عليها قائلا: [3]

جئت من أقصى البلاد كي أرى وجه نهاد

لقد واجه الشاعر الكلمات اللاذعة حول دمامة شكله، حيث كبت حزنه الشديد وأحس بمرارة الحياة وانطوى على ذاته، لأن حياته لم تخل من الشقاء وعثور الحظ وإلى جانب هذا كانت حالته المادية مستعصية فلم يكن في مقدوره أن يتنعّم بالعيش كباقي أنداده الأثرياء في المعهد، حيث كتبت ديزي الأمير عن شخصية بدر فقالت: « لم يكن بدر وسيما ولم يكن غنيا ولم يكن من الوجهاء»[4] .

تعالت زفرات الوجع عنده لأن كل الأبواب انغلقت أمامه لأن جل الشروط التي تجلب المرأة معدومة فيه من جاه و وسامة وحتى الثراء خاصة أن الفتيات يضعفن أمام بريق المال رغم عثرات السياب المتتالية إلا أن حلمه لم يتوقف في إيجاد المرأة التي يحلم بها. « وكان

---

[1]– إحسان عباس، بدر شاكر السياب ، ص 22.

[2]– ينظر: نفسه ، ص 65.

[3]– سالم المعوش، بدر شاكر السياب، ص65.

[4]– عبد الجبار داوود البصري، بدر شاكر السياب، رائد الشعر الحر، دار الجمهورية، بغداد، 1966، ص 95.

عمري انتظار المرأة المنشودة وكان حلمي في الحياة أن يكون لي بيت أجد فيه الراحة والطمأنينة»[1].

وليس بالمستغرب أن يبحث بدر عن المرأة التي تعوض حنان أمه وتمحي كل صورة مؤلمة داخله، فيعد الطواف الطويل بين الحسناوات لابد أن يقرّ عينا ويستكين إلى امرأة تحمل في أحشائها أطفاله وأن تعيش معه تحت سقف واحد قبل رحيله عن هذه الدنيا «وعندما بلغ بدر التاسع وعشرون من عمره، كان قد قرر الاستقرار عائليا وقد تحقق هذا حينما اقترن بفتاة من قرية أبي الخصيب تعمل في المرحلة الابتدائية وكانت من عائلة طيبة يربطها بعائلته علاقة مصاهرة وهكذا تمّ زواج بدر بالطريقة التقليدية وتمّ عقد الزواج في 19 حزيران 1955»[2].

إقبال هي الزوجة الحقيقية لبدر وقدره الذي كتب له عكس نساء الوهم والخيال الذي كان يجري وراء حبهن دون جدوى فهي التي أنجبت أبناؤه (غيلان، و غيداء، وآلاء) إلى الدنيا فقد تقبلها وتعوّد عليها وطلب منها أن لا تشفق عليه بل أن تحبه حقيقة.

ويعبر عن هذا في قصيدة بعنوان "أحبيني" قائلا: [3]

آه، هاتي الحب روّيني

به نامي على صدري أنيميني

على نهديك ، أوّاها

من الحرق التي رضعت فؤادي ثمة افترست شراييني

---

[1]- سالم المعوش، بدر شاكر السياب، ص 44.

[2]- ينظر: نفسه ص 49.

[3]- بدر شاكر السياب، شناشيل ابنة الجلبي و إقبال، ص 39.

أحبيني

لأني كل من أحببت قبلك لم يحبوني

يدعو بدر زوجته بأن تحبه وأن تعطف عليه وتغمره بالحنان الذي حرم منه وتنسيه الحرق الذي افترس شرايينه وأفقده حلاوة الحياة وكساه بوشاح أسود إثر مشاعره الدفينة التي خلفتها الحسناوات بعبثهن. إلا أن إقبال لم تكن تفهم إحساسه ومشاعره ولم تشاركه تطلعاته وآماله بل زادت مشاغله وصرفته عن أحلامه « زواجه لم يسعده كثيرا، لأنه كان يتوقع أن تعينه زوجه على تحقيق أحلامه ومطامحه، فلم تستطع، وما كان ممكنا أن يسعد الزواج رجلا مثله مطامحه كبيرة »[1].

إن عالم الشعراء مختلف عن عالم الناس العاديين، فزوجة بدر لم تستطع أن تشاركه طموحه وأن تشجعه على تحقيقها.

عاش بدر في كنف عائلته بين أحضان زوجته وصوت أبناءه الذي يملأ عليه المنزل فاستطاعوا أن يغرسوا حب الحياة والأمل لدى والدهم غير أن الإنسان مهما عاش وتنعم بخير الدنيا من صحة وعافية إلا أن الإنسان لا يقوى على رد قدرة الله عز وجلّ في ابتلاء عباده بالمرض والسقم ولم يسلم بدر من هذا الابتلاء وأخذ المرض يفترس جسده فأخذ يتنقل بين الدول باحثا عن العلاج، فدخل مستشفى في بيروت لعله يُخّلص نفسه من الموت المحتوم، فتعرف بالممرضة تدعى "ليلى" وهي: « شابة جميلة، قيل بأنه تعلّق بها في أثناء إشرافها على معالجته ببيروت، وأنها كانت محبة للأدب، ولها محاولات شعرية كانت تعرضها عليه، وتطلب مساعدته في نشرها»[2] .

---

[1]- عطا محمد أبو جنين، شعراء الجيل الغاضب، ص 32.

[2]- عبد اللطيف أطمش، بدر شاكر السياب، ـ في أيامه الأخيرة ، ص 75.

ومن العجيب أن يتعلق بها وهو في آخر أيام عمره كما أن له حياته الزوجية الخاصة به، ونظم فيها قصيدة بعنوان"ليلى" يقول: [1]

ليلى تعالي نقطع الصحراء في قمراء حلوة

متماسكين يدًا إلى يد من نحب

وترن في الأبعاد عتوه

للرمل همس تحت أرجلنا بها للرمل قلب

يهتز منها أو ينام وللنخيل بها أنين

يدعو بدر ليلى أن ترافقه إلى عالم يبعده عن كل شيء حزين وأن تضع يدها بيده وتسانده في علّته التي جعلته وحيدا مرة أخرى. ومن سوء حظه العاثر أن « زوجته قد سافرت إلى بيروت حين طالت غيبته عن العراق وإذ علمت بأمر الممرضة البيروتية »[2]، وهذا سبب له قلقا في حياته الزوجية فإقبال كشفت كل مستور بينهما، فأخذت رسائل ليلى، وخصلات شعرها التي كان يخفيها تحت فراشه وألقتها في البحر فعلم بدر بما فعلت زوجته فحزن لغيرتها ونكدها وعبر عن ذلك[3].

في قصيدة يقول: [4]

ربما أبصرت بعض الحقد، بعض السأم

---

[1]- بدر شاكر السياب، شناشيل ابنة الجلبي وإقبال، ص 96.

[2]- سامي يوسف أبو زيد، الأدب العربي الحديث، ص 315.

[3]- ينظر: نفسه، ص 315.

[4]- بدر شاكر السياب، شناشيل ابنة الجبلي و إقبال، ص 46.

خصلة من شعر أخرى أو بقايا نغم

زرعتها في حياتي شاعرة

لست أهواها كما أهواك يا أغلى دم ساقي دمي

يوضح بدر في هذا المقطع أن زوجته حقدت عليه لعثورها على خصلات شعر الممرضة و اكتشف ما يدور بينها و بينه، فوضح لها بأن كل وجدانه ينطق بهواها لا بهوى ليلى.

هكذا كانت حياة بدر مليئة بالشقاء والاضطراب حتى آخر رمق في حياته «فتجربة الشاعر بكل أبعادها الفنية والإنسانية مرتبطة بمرحلة قاسية من معاناته وآلامه والتي تبرز في حلبة الصراع بين جذوة الأمل وركام اليأس وقد تمثلت تلك المعاناة في ذلك الحشد من الصور الاستعارية المنفردة التي استطاع الشاعر من خلالها أن يخلق علاقات بين الأشياء التي لا تتجانس ولم يهتد إلى نسجها إلا شاعر صهرته التجربة»[1] .

أحس بدر أنه لم يفلح في حياته كلها قط، لكن الشيء الوحيد الذي كان جديرا به هو أنه استطاع أن يكون الشاعر المعبر عن الأحاسيس والخلجات وعن الهموم التي تؤرق الإنسان في سعيه الدؤوب إلى الراحة والاطمئنان في ظل نزعته الرومانسية الأصيلة.[2]

[1]- بثينة علي إبراهيم مرزوق، الأدب السياسي و الحداثة في الشعر العربي، ص 115.

[2]- ينظر: سالم المعوش، بدر شاكر السياب، ص 37.

الفصل الثاني
السياب من الذات الفردية إلى الذات الجماعية

1. الالتزام الاجتماعي في شعر السياب:

أظهر السياب التزامه بتياراته المختلفة من خلال إنتاجه الشعري وهو التزام نابع من البيئة العراقية التي كانت تحيط بها الأزمات الاجتماعية والسياسية والاقتصادية، فالشاعر أولا وقبل كل شيء ومهما تبلغ درجة عبقريته إلا أنه لا يمكن أن يبدع شعره من العدم، بل يتأثر بعوامل البيئة المحيطة به، فإن الحياة الاجتماعية التي عاشها السياب هي المفجّر الأساسي لطاقاته الشعرية الإبداعية التي تظهر في شعره الحرّ، كما أن الكثير من الظواهر الاجتماعية واختلاف أصناف الشخصيات قادته إلى أن ينتج كمًّا هائلا من القصائد التي يعكس فيها المؤثرات الاجتماعية وظواهرها وبعض العادات والتقاليد التي أدت إلى تأخر المجتمع العراقي ذاكرا الأسباب لإيجاد الحلو بهدف التغيير.

فما هي أهم هذه الظواهر والعادات التي رصدها السياب في شعره؟

أ- تجلي الصراع الطبقي الاجتماعي في شعر السياب :

لطالما كان شعور بدر شاكر السياب بأن المجتمع سبب في كل مشاكله وحرمانه وبؤسه، وأنه دائما يقمعه، وهذا الشعور جعله يصور هذا المجتمع بكل فئاته المدمرة متعاطفا على حال الفئة الكادحة والتي يصنف فيها نفسه، فقد عاش فقيرا كغيره من الفقراء وتذوق المعاناة بشتى أنواعها وكانت هذه المعاناة التي سببها الفقر، نتيجة للتفاوت الطبقي وظلم الطبقة الغنية للطبقة الفقيرة الكادحة التي ضيّقت سبل العيش على الفقراء أمثاله فلا يكاد يجد قوت يومه الذي يسد به جوعه، وقد عبّر السياب عن التزامه بهذه الفئة الكادحة الفقيرة .

حيث قال: [1]

شعري نغمات الكادحين، وليس أنفاس الغواني

---

[1]- بدر شاكر السياب، الديوان، مج1،ص 271.

توجيه آلاف الأكف القابضات على الزمان

وافرحتاه إذا تلاقى في اللهيب الثائران

داست القيود«ابن المصانع»، فاقتفاه«ابن الجنان»

واهتزت الكفان فاتقد التراب من الدخان

وكثيرا ما تسبب فقر السياب و وضعه الاجتماعي والمادي في عدم تجسيد أهدافه وتحقق أحلامه ونذكر منها: إخفاقه في الحب ففي كل مرة يحب فيها فتاة غنية ترفضه بسبب فقره وحالة عائلته الاجتماعية فعبر السياب عن هذه الحالة بقوله: [1]

بيني وبين الحب فقر بعيد من نعمة المال وجاه الأب

يا أهي كفي... ومت يا نشيد شتان بين الطين والكوكب

وقد تسبب زواج الفتاة التي أحبها برجل عراقي ثري زيادة حقده للطبقة الغنية فقد « انطلق بدر في مراراته يضاعف عداءه السياسي للطبقات الغنية، وكان مجرد رؤية فتاة سوداء تتسول يثير فيه كل حقده على الأغنياء، لأنه كان يرى فيها نفسه بل كان يرى فيها الشعب بأكمله تحت رحمة حفنة من الأغنياء المتآمرين مع قوى الغرب الجشعة»[2]، كما أن الظرف المادي نفسه يحول دون مزاولة السياب لدراسته خارج البلاد ولا البقاء في القرية التي لم تعد توفر له وظيفة تخرجه من محنته« وهكذا قدر له أن يكون من مجموع الريفيين الذين تجذبهم المدينة غير أنه لم يكن يريد أن يقبل عملا مكتبيا تافها أو وظيفة عادية عامة، ولم

[1]- بدر شاكر السياب، الديوان، ص 161.

[2]- عيسى بلاطة، بدر شاكر السياب حياته و شعره، ص 43.

يكن راضيا بالمستوى العلمي الذي حصل عليه، لذلك قرر أن يلتحق بإحدى مؤسسات الدولة المجانية للدراسة العالية لأن أسرته لم تكن قادرة على إرساله خارج البلاد لهذه الغاية»[1].

فما أصعب الظروف الاجتماعية حين تجتمع مع المرض والظروف المعيشية للعائلة، فبعد زواج بدر رزق بثلاث أبناء فازدادت حاجته للمال، والتي لم تترك له فرصة اختيار العمل وأوقعته في مزالق إذ عمل في جريدة الشعب المؤيدة للحكومة، كما ترجم كتابين لمؤسسة أمريكية تهدف إلى نشر ثقافتها وكان ذلك استبعادًا لشبح الفقر والجوع[2].

وما زاد لظروف السياب صعوبة، مرضه الذي جعله يشعر بالألم الجسدي والمعنوي «لا أعتقد أن هناك إذلالا أكبر من المرض المستعصي والفقر والاضطهاد والتشرد والضياع لقد ظل السياب يبحث عن ثمن الدواء والمستشفى وثمن حتى رغيف الخبز لأطفاله وثمن الورق الذي يكتب عليه أشعاره»[3]، فالسياب مثله مثل بقية الأدباء في العراق الذين عرفوا أزمات في النشر وحتى في التقبل والتقدير الأمر الذي زاد من حقده لهذا المجتمع الذي وضعه موضع المهزوم والمحروم رغم موهبته الفذة التي كانت من المفروض أن تضعه في مكانة اجتماعية مرموقة .

مشكلة أخرى وقع فيها السياب بسبب الفقر والحاجة إلى المال، وهي الغربة التي حطمت نفسيته لأنه لا يملك المبلغ الكافي لحق السفر والعودة إلى وطنه العراق ومن أجمل اللوحات التي عبّرت عن حاجته للمال ما جاء في قصيدته " غريب على الخليج".

حيث يقول: [4]

---

[1]- عيسى بلاطة، بدر شاكر السياب حياته و شعره، ص 42.

[2]- ينظر: بثينة علي إبراهيم مرزوق، الأدب السياسي و الحداثة في الشعر العربي، ص 59،62.

[3] - نفسه، ص 65.

[4]- بدر شاكر السياب، أنشودة المطر، ص 12 ، 13

فلتنطلقي يا أنت يا قطرات يا دم يا...نقود

يا ريح... يا إبرا تخيط لي الشراع...متى أعود

إلى العراق ...متى أعود؟

يا لمعة الأمواج ريحهن مجداف يرود

في الخليج و يا كواكبه الكبيرة...يا نقود

مازلت أنقص يا نقود بكن من مدد اغترابي

مازلت أوقد بالتماعتكن نافذتي و بابي

في الضفة الأخرى هناك فحدثيني يا نقود

متى أعود...متى أعود؟

نلاحظ أن السياب يربط مصيره بعدد النقود التي بحوزته فيخاطبها مترجيا أن توصله إلى العراق،لأن الحياة في البلاد الغريبة صعبة وحتى المدينة التي كان لها سحرها في نظر السياب فقدت سحرها بعد أن توغل فيها وجرّب حظه في الخوض في طريقها نحو الجاه والثراء ولكن يبدو أنه لم ينسجم مع متطلباتها لزيادة الحاجة للنقود.

وحتى في أصعب موقف وهو الموت لم تسلم عائلة السياب من شبح الفقر« وليس من الغريب بعد هذا البؤس الذي طارده الشاعر خلال حياته أن يرى الذين رافقوا جثمانه كيف أن زوجة الشاعر كانت مشغولة هي و أقاربها بنقل أثاث البيت بعد أن عجز زوجها الراحل عن تسديد الإيجار للمسكن التابع للحكومة»[1]، و لأنه عاش تحت هذا الظرف المادي الحرج

[1]- بثينة علي إبراهيم مرزوق، الأدب السياسي و الحداثة في الشعر العربي، ص 66.

أضاء من خلال إضاءته لذاته جانبا من حياة طبقة خاصة من الشعب العراقي، و هي طبقة الفلاحين البسطاء التي عرف أبناؤها خيبة الحب، و مرارة الهجرة من الريف إلى المدينة.

واستطاع أن يدمج معاناته مع معاناة الآخرين فبعد أن كان في الماضي يبحث عن خلاصه وحده أصبح اليوم في هذه المرحلة يدرك أن الفاجعة فاجعة شعبه أيضا و لذا جاءت قصائده في هذه المرحلة تصور مصير الإنسان كجزء من المجتمع و التاريخ و أن في المجتمع قوى ظلم و اضطهاد و دمار[1].

لم يعد الجوع جوعه فقط بل جوع شعبه والعراق ونجده في قصيدته"نسيم من القبر" يشكو لأمه الراحلة حاله وحال المجتمع وما آل إليه من جوع عبر هذا المقطع: [2]

أما حملت الريح عبر سكينة الليل

بكاء حفيدتك من الطوي وحفيدك الجوعان

لقد جعنا وفي صمت حملنا الجوع والحرمان

ويهتك سرنا الأطفال ينحبون ويل

أفي الوطن الذي آواك جوع ! أيما أحزان

يظهر البعد الاجتماعي في هذا المقطع في صورة الحزن التي صورها السياب لأمه الراحلة معبرا فيها عن حياة الحرمان والجوع الذي لحق به وبأبنائه وبالعراق الوطن.

كما نجده في قصيدة "سهر" التي كتبها وهو في بيروت بعيدا عن قريته مصورا أحوالها الاجتماعية وأطفالها الذين يموتون بالجوع.

---

[1]- ينظر: بدر شاكر السياب، الديوان، مج1، ص 66.

[2]- بدر شاكر السياب، شناشيل ابنة الجلبي و إقبال، ص 62.

حيث جاء في قوله: [1]

ذكرت مقابر الأطفال

تذود بكل سفح، نام فيها دون أثداء

ولا قمط، صغار من حصاد الجوع و الداء

وخير مثال على التزام الشاعر بهذا الجانب الاجتماعي قصيدته" أنشودة المطر" «تقع هذه القصيدة في ثمان من صفحات الديوان وفي نحو مئة وعشرين سطرا مطلعها غزلي، لكن هذا الغزل يختلف كثيرا عما ألفناه لدى الشعراء السابقين فهو يوحد بين الحبيبة والوطن ويجعل حب كل منهما ملتحما بحب الآخر، وهذا مظهر من مظاهر الالتزام»[2] وهذه القصيدة ذاع صيتها وأكسبت السياب من الشهرة ما يستحق إذ شملت كل جوانب الحياة الاجتماعية والإنسانية وجمع فيها كل تجاربه التي عاشها ويقول في قصيدته هذه معبرا عن الجوع الذي حلّ بالعراق: [3]

و في العراق جوع

و ينثر الغلال فيه موسم الحصاد

لتشبع الغربان و الجراد

و تطعن الشوّان و الحجر

رحى تدور في الحقول حولها بشر

---

[1]- بدر شاكر السياب، المعبد الغريق، ص 86.

[2]- أحمد أبو حاقة، الالتزام في الشعر العربي، ص 403.

[3]- بدر شاكر السياب، أنشودة المطر، ص 145،146.

مطر

مطر

مطر

و منذ أن كنا صغارا، كانت السماء

تغيم في الشتاء

و يهطل المطر

و كل عام حين يعشب الثرى ـ نجوع

ما مرّ عام و العراق ليس فيه جوع

مطر

مطر

مطر

نلاحظ أن السياب يكرر كلمة المطر ويعطي له مدلولات كثيرة فنحن نعرف أن المطر هو الحياة وهو منبع الخصب والخير، لكن السياب يؤكد على أن نزول المطر لا يحل مشكلة الفقر والجوع بل تبقى منتشرة في العراق رغم المحاصيل الزراعية التي تحصد وتجمع في كل موسم حصاد وفي كل عام. و يذكر السبب في عدم توزيع تلك الخيرات بعدل على مستحقيها بل يشبع بها الجراد والغربان، ويقصد بهما المستعمرين لأرض العراق وأصحاب السلطة الجشعة فيها.

وهنا تكمن علّة المجتمعات عندما يُغيّب العدل وتسيطر السلطة المستبدة على خيرات البلاد فترى بعض الناس يعيشون في ترف، وعامة الشعب يموتون من الجوع والذي« يصبح لا يطاق وخاصة إذا اقترن المعنوي منه بالمادي، فيعتري الأجساد جوع إلى الطعام والنفوس جوع إلى الحرية وإلى العلم والطمأنينة ويزداد مضض النفوس حين تعلم أن القوت موفور لها، ولكنها تحرم عدوانا ويبدد من غير عدل ولا فائدة»[1].

ورغم هذا الواقع المليء بالألم إلا أن قلب السياب مليء بالأمل في التغيير، لأن بعد الشدة يأتي الفرج مصدقا لقوله تعالى:﴿ إنّ مع العسر يسرا﴾[2]. ويظهر السياب تفاؤله بالغد الجديد في قوله:[3]

في كل قطرة من المطر

حمراء أو صفراء من أجنة الزّهر

وكل دمعة من الجياع والعراة

وكل قطرة تراق من دم العبيد

فهي ابتسام في انتظار مبسم جديد

أو حلمة توردت على فم الوليد

في عالم الغد الفتى واهب الحياة !

مطر

---

[1]- أحمد أبو حاقة، الالتزام في الشعر العربي، ص 409.

[2]- سورة الشرح، الآية 6.

[3]- بدر شاكر السياب، ديوان أنشودة المطر، أنشودة المطر، ص 146، 149.

مطر

مطر

سيعشب العراق بالمطر

فرغم الاستغلال وسفك دماء العبيد إلا أن الشاعر يتفاءل بمستقبل جديد وأن العراق سيعشب بالمطر معلقا أمله في الثورة « وهذا النوع من التفاؤل والإيمان بالغد الأفضل هو من أثر الواقعية الاشتراكية المتفائلة دائما بجدلية التاريخ وبانتهاء الثورات إلى تصحيح الأوضاع والقضاء على الخلل. ناهيك بانضمام الشاعر إلى حركة الكادحين والمسحوقين والجائعين من أبناء الوطن، وبما في شعره من نبض ثوري، ومواكبة لحياة الجماهير واهتماما بها واقعا ومضمونا وتعاطف معها في الأفكار والأهداف وتنديد بالفئات الطاغية المستبدة...»[1].

وكلنا نعرف ما يمكن أن يُلحقه الفقر والجوع والحاجة الماسة للمال سواء بصاحبه أو بالمجتمع إذ أنه يسبب في انتشار السرقة والأمراض، والفساد الاجتماعي، كما نعرف أن العراق من الدول البترولية الغنية بالنفط والقادرة على تحقيق الرفاهية في العيش لشعبها، لكن الظلم والفقر وصلا إلى حد أن المرأة تعرض جسدها للاستغلال اللاأخلاقي بهدف التكسب فنجد السياب يعبر عن هذا الوضع في قصيدته" المومس العمياء" بقوله:[2]

ويح العراق ! أكان عدلا فيه أنك تدفعين

سهاد مقلتك الضريرة

ثمنا لملء يديك زيتا من منابعه الغزيرة؟

---

[1]– أحمد أبو حاقة، الالتزام في الشعر العربي، ص 411.

[2]- بدر شاكر السياب، أنشودة المطر، ص199.

كي يثمر المصباح بالنور الذي لا تبصرين؟

عشرون عاما قد مضين وأنت غرثى تأكلين

بنيك من سغب، وظمأى تشربين

حليب ثديك وهو من خياشم الجنين!

فالمومس العمياء وهي المرأة التي« توقد المصباح الزيتي لا لترى بل كي يراها الزوار ويقبلوا عليها، وماذا يدفعون؟ إنه ثمن زيت المصباح، ثمن البترول الذي هو ملك الشعب يمتصه المستعمر وهو من خيرات الشعب». والسياب يتأسف لمثل هذا الموقف ويُلفي اللوم على العراق البلد الغني بالنفط، كما وأنه يتألم لحال المرأة الفقيرة التي وقعت ضحية فقرها بين أيدي الحكومة الجشعة الطاغية ويحمل العراق المسؤولية لما حصل لهذه المومس في الماضي والحاضر، والتي هي رمز لكل امرأة لا تجد من يتكفل برعايتها ويؤمن لها لقمة العيش بشرف .

استطاع السياب أن يرصد لنا ظاهرة الفقر والجوع التي حلّت به وبشعبه ذاكرا الأسباب المتمثلة في ظلم الحكومة وسيطرة السلطة المستبدة كما أطلعنا على بعض نتائجها داعيا إلى الثورة على هذا الوضع بهدف التغيير وضمان مستقبل الأجيال القادمة.

ب –إصلاح القيم الاجتماعية في شعر السياب:

تعددت مضامين الشعر الحر وموضوعاته، وللسياب نصيب وافر من هذه المضامين والأغراض التي تناولها في شعره الحر وعني بها تفاصيل الحياة بجميع مستوياتها، ونذكر في الجانب الاجتماعي الذي التزم به السياب إلى جانب الفقر والجوع، العادات والتقاليد ومظاهر الفساد الاجتماعي التي انتشرت في المجتمعات العربية عموما، والمجتمع العراقي خصوصا فوقف موقف الغاضب منها، لما تسببه من تأخر حضاري

وثقافي للمجتمع، الأمر الذي دفع به إلى رصد بعض هذه التقاليد وصور الفساد في قصائده الحرة رغبة منه في تغييرها وإصلاحها لتحقيق مجتمع مثالي خال من كل صور الفساد ومعوّقات التنمية والتطور.

ظلّ السياب متنقلا خلال حياته بين الريف والمدينة مما جعله يعيش تجربة اجتماعية في كل منهما، فرغم تأثر السياب بحياة الريف وتعلّقه بقريته جيكور لما فيها من ذكريات وقيم ريفية إلا أنه فوقف موقف غضب من بعض عاداتها وتقاليدها البالية التي تحول دون تحقيق التطور والرفاهية وعدم قدرة الفرد الريفي على مواجهتها من شدة ما تثيره من حياء «... لكنها العادات والتقاليد تلك القوى الاجتماعية التي لا يستطيع الإنسان القروي أن يفلت منها، وتشكّل حيّزا اجتماعيا عليه، وهي أحد أهم أدوات الضبط الاجتماعي في تلك المجتمعات البسيطة»[1] فهذه التقاليد التي تمارس في القرية في مناسبات اجتماعية مثل الأعراس قد أثر في شعر بدر بشكل ملحوظ ويظهر ذلك مع مزج هذه العادات والتقاليد مع واقع القرية التي تعاني الفقر والجهل والأمية، وسيطرت الرجل على أغلب تفاصيل الحياة الاجتماعية فيها« يصور لنا بدر إحدى عادات الريف العراقي في ليلة الزواج، وهي أن يخرج العريس منديلا أبيض ملطخ بالدم لإثبات قوة هذا العريس من جهة وأن العروس عذراء»[2]، يقول السياب مصوّرا هذا الموقف في قصيدته "مرثية جيكور":[3]

والعشاء السخي في ليلة العرس وتقبيله العروس الودود

وانتظار له على الباب؟

---

[1]- خالد فياض الشرفات، المؤثرات الاجتماعية في نشوء الشعر الحر شعر بدر شاكر السياب نموذجا، ص 119.

[2]- نفسه، ص119.

[3]- بدر شاكر السياب، أنشودة المطر، 82،83

محمود، تأخرت يا أبا محمود

ناد محمودا

ثم يوفى على الجمع بمنديل عرسه المعقود

نقطته الدماء يشهدن للحذر بعذراء، يا لها من شهود

لا على العقم والرد، بل على الميلاد والبعث والشباب الجديد !

أي صوت يصيح: محمود، محمود تأخرت، كالنواح البعيد؟

أين محمود؟ ليس محمود في الدار ولا في الحقل

يبدو السياب متثاقل من هذه العادة المحرجة ولهذا تعرض لها بشكل نقدي رافض، فعمل على فضح هذه العادات البالية التي تمارَسُ في القرى والأرياف والتي تثقل كاهل الإنسان القروي وتضعه في موقف محرج أمام الإخوة والعائلة .

وبذلك يكون السياب قد لعب دور المصلح الاجتماعي من خلال النقد البنّاء الذي قدمه حول صور الفساد الاجتماعي والتقاليد المنتشرة في الأرياف والقرى.

ومن مظاهر الفساد الاجتماعي التي عرج عليها السياب تجلّي الصراع الطبقي على المستوى الاجتماعي وقد عالج هذا الموضوع في قصيدته "عرس في القرية" وهو زواج البنت الفقيرة من الأجنبي الثري: [1]

أفقر الريف لما تولت نواره

بالصبابات، يا حاملات الجرار

[1]- بدر شاكر السياب، أنشودة المطر، ص 32.

رحن وأسألتها: يا نوار

هل تصيرين للأجنبي الدخيل؟

للذي لا تكادين تعرفيه؟

يا ابنة الريف، لم تتصفيه؟

كم فتى من بنيه

كان أولى بأن تعشقيه؟

فيعود موضوع الفقر من جديد ليشكل صورة من صور الفساد الاجتماعي، فالفتاة القروية المدعوة (نوار)، تقبل الزواج برجل غريب من المدينة لأنه غني وترفض فتيان قريتها الذين تعرفهم وتحبهم لسبب واحد وهو أنهم فقراء وهي فقيرة أيضا، ففي مثل هذه الظروف يصبح الإنسان يباع و يشترى بدراهم معدودة.

وخير مثال على تصوير السياب لمظاهر الفساد والانحلال الأخلاقي في المجتمع هما قصيدتين أعطى لهما السياب عناوين بأسماء الشخصيات الظالمة والمظلومة رغبة منه في رصد صور الظلم المنتشرة في المجتمع وهما " حفار القبور" و"المومس العمياء" « والحفار والمومس متشابهان: هما أثر من آثار الحياة الاجتماعية الفاسدة التي تسوق المرء إلى السقوط في مهاوي الخطيئة من دون ذنب...

إن السياب كان في فترة نظمها يعبر عن حالته هو بالذات حيث كان يتوه في شوارع بغداد ويقع فريسة التشرد والفشل في الحب وقلة المال يقترب من المقابر الخاوية وبيوت

البغايا وحانات الشرب... الأمر الذي جعله يلتقط موضوعاته من هذه الأمكنة... بحيث كانت على علاقة بحياته الخاصة وبالحالة الاجتماعية والسياسية والاقتصادية في العراق»[1].

ففي "المومس العمياء" جمع فيها السياب مجموعة من المتناقضات التي تحوي عليها المدينة العربية كالتجمعات والسهر وشرب الخمر ومخالطة النساء وانتشار البغي فنجده يقول في قصيدة "المومس العمياء" :[2]

وبما تشاء من العطور أو ابتسامات النساء

ومن المتاجر والمقاهي وهي تنبض بالضياء

عمياء كالخفاش في وضح النهار، هي المدينة

والليل زاد لها عماها

والعابرون:

الأضلع المتقوسات على المخاوف والظنون

والأعين التعبي تفتش عن خيال في سواها

وتعد آنية تلألأ حوانيت الخمور

فقد تحدث السياب عن المدينة في شعره وكثيرا ما كان يبدي كرهه لها وحقده عليها لما تحويه من فساد وكثرة الاكتظاظ والتجمعات في المقاهي وشرب الخمر وإقامة علاقات بين الرجال والنساء، كما صوّر لنا في هذه القصيدة المومس العمياء في شخصية البغي الضحية التي اختارت أن تبيع جسدها مقابل المال بسبب فقرها، فدائما نجد أن الفقر يعود

---

[1]- سالم المعوش، بدر شاكر السياب، نموذج شعري لم يكتمل، ص 200.

[2]- بدر شاكر السياب، أنشودة المطر، ص 173، 174.

كأحد أسباب الفساد و الدمار والسياب في تعرضه لهذا الجانب الاجتماعي يريد أن يفضح النظام السياسي وظلمه على هذه الطبقة الفقيرة التي اختارت طريق الفساد لاكتساب الرزق.

فالسياب وهو ينظر للمجتمع نجده يربط الظواهر بمسبباتها فنجده يعطي لنا صورة أخرى للفساد في شخصية "حفار القبور" مثلا للإنسان الانتهازي الأناني الذي يتمنى أن يموت الآخرين ليحصل على ما يوفر له المتعة وملذات الدنيا، وهو رمز لكل "طفيلي" لا يفكر إلا بنفسه وما يعزّ به تفكيره« أنه يبقى أقل شؤما من أعمال تجار الحروب الشنيعة الذين لا يملكون ذرة من رحمة وهو إن فعل ذلك فلأنه جائع عار لا يجد ما يسد متطلبات جسده وحياته... لكن الرزق يأتيه في هدأته فيسرّ لذلك... ويقبض الثمن ليقصد المدينة يلهو في الخمارات ومع بائعات الهوى فيدفعه بدلاً لما اقتنصه من ملذات»[1].

ومع هذه الرغبة الشنيعة والمأساوية يعتبره (سالم المعوش) ضحية من ضحايا المجتمع بسبب فقره مُصّرحا « وهكذا يبدو الحفار ضحية من ضحايا المجتمع الذي لا يعير اهتماماً لأمثاله ولا يعطيه راتبًا معينا يقتات به ويتركه يحلم بموت الآخرين من دون أن يحل مشكلته على مستوى الرغبة وعلى مستوى الحياة النهائية الهادئة»[2].

يستثني صاحب الكتاب موقفه من شخصية الحفار« لكننا لا نعطف على هذا الرجل لأن رغباته مقيتة وأمنياته دموية... مع العلم أن مأساته واضحة تتركز في الفقر والعوز الذي سببه النظام، فبدل أن ننقم على هذا النظام جعلنا بدر من دون أن يدري ننقم على الحفار نفسه »[3]، ففساد النظام السياسي يؤدي بالضرورة إلى فساد النظام الاجتماعي وظهور الصراعات الطبقية والأمراض الاجتماعية كالتفكك الأسري والأمية والجوع والمرض، فنجد

---

[1]– سالم المعوش، بدر شاكر السياب، نموذج شعري لم يكتمل، ص 299.

[2]– نفسه ، ص 299.

[3]- نفسه، ص 299.

السياب يلون صورة الموت والمرض بالفساد الاجتماعي، ويربط مرة أخرى الظواهر بمسبباتها ويعتبرها اجتماعية قبل أن تكون فردية « تتحرّك الأمور ضمن إطارها الموضوعي، الفرد هنا يعيش ضمن هذا الإطار، وفاجعته ليست خارجة عنه إنما هي جزء منه، ما من شيء هنا

يحدث اعتباطا و صدفة الموت ليس قدرا بلا علّة كموت الأم إنه هنا نتيجة ظرف اجتماعي معين والدعارة ليست نزوة إنها ظاهرة اجتماعية »[1].

فالسياب وهو يربط الظواهر الاجتماعية بمسبباتها يرى أن المرض سببه الفساد في النظام الاجتماعي كالفقر والتفكك الأسري والمعاناة النفسية والمادية فالأمور متشابكة ومعقدة في المجتمع الذي أراد السياب أن يعكسه لنا مضيفا إليه تجربته وخياله، فحتى المرض الشخصي للسياب تجدر الإشارة هنا أن نربطه بظرف اجتماعي، فالمدينة بفسادها قد شكلّت إرهاقا صحيّا إذ أصبح « المرض في هذه المرحلة يرسم خطين أساسيين وهما معركة السياب ضد مرضه الشخصي ومعركته ضد الفساد السياسي والاجتماعي، ولعلّه من المهم جدا أن نشير في هذا الخصوص أن السياب في ما أصابه من داء إنما يلقي المسؤولية على المدينة وهناك خط يصل بين جيكور والمدينة وهو المقارنة بين الفساد في المدينة والفطرة في القرية»[2]، فالسياب وهو ساهر في إحدى الليالي في المستشفى ببيروت أفرج عن قصيدة بعنوان "سهر" يجمع فيها سهره بسبب المرض والفساد الذي عمّ المدينة يقول فيها: [3]

سهرت فكل شيء ساهر: قدماي والمصباح

وأوراقي

أنا الماضي الذي سدوا عليه الباب، فالألواح

---

[1]- بدر شاكر السياب، الديوان، مج1، ص 66.

[2]- بثينة علي إبراهيم مرزوق، الأدب السياسي و الحداثة في الشعر العربي، ص 99.

[3]- بدر شاكر السياب، المعبد الغريق، ص 76.

إلى أن يقول: [1]

أصخت السمع و الظلماء حولي بوق سيارة

يبث على البغي رسالة الحب

ويومي للسكارى أن تعالوا، ألف خمارة

تكشر، تفرج الساقين، تقطع نومة الدرب

بوهوهة النيون

أصخت والظلماء صفارة

إلى أن يقول: [2]

سهرت الليل في بيروت لا بين المواخير

كهوف العالم المتحضر المغسول بالنور

هنا يتوكئون على العظام ليصعدوا أفقا من النشوة

لينحدروا إلى فجوة

يعلن السياب أن سهره في بيروت هو نتيجة المرض الشخصي الملون بصورة الفساد الاجتماعي الذي يعمّ البلاد من جيكور إلى بغداد إلى بيروت فيصور لنا المدينة باكتظاظها في الليل، والسهر وشرب الخمور والاستغلال من أجل النشوة ولكن السياب يقر أن العالم المتحضر وهو المدينة سينحدر إلى فجوة الفساد التي لا مخرج منها .

---

[1]- بدر شاكر السياب،المعبد الغريق، ص 76.

[2]- نفسه، ص76.

فما يمكن أن نتوصل إليه أن تجربة السياب تطورت بفضل تحولات الظروف الاجتماعية التي عاشها رفقة شعبه والتزامه الاجتماعي الذي أصبح يحمل مضامين جديدة هو نتيجة الواقع الاجتماعي المرير الذي عمّه الفساد بكل أشكاله من ظلم، واستبداد، وجوع وفقر، ومرض، وموت، والانحلال الأخلاقي كانتشار البغي والدعارة، وسوء التقاليد والعادات الممارسة في القرى والأرياف، فكان دائم الصراع مع هذا الواقع ثائرا عليه ناقدا له داعيا إلى الثورة والتغيير.

2- الاتجاه الواقعي والالتزام الماركسي في شعر السياب:

توحدت الظروف الصعبة بين الدول العربية التي دخلها الاستعمار، وكانت العراق إحدى هذه الدول التي تأزمت حالتها السياسية، فانشغل العراقيون بالسياسة التي كانت الوجه البارز للنشاط الفكري والثقافي والاجتماعي، فكان الأدب عامة والشعر خاصة متأثرا بهذه الأحداث والمعطيات السياسية التي استوعبها أكثر الشعراء الشباب في مطلع حياتهم الشعرية، ونذكر من بين الشعراء الشباب الشاعر بدر شاكر السياب الذي جرّب الشعر السياسي في مرحلة مهمة من حياته، وكانت أغلب قصائده في هذه المرحلة ذات نفس واقعي ملحمي ومثلت بداية تفتح شخصية السياب الشعرية وتجلّت في شعره طبيعة العلاقة التي تربطه بالأحزاب السياسية وثورته على النظام الملكي الظالم وحكامه الطغاة مع تطلّعه على التغيير والقضاء على الظلم الذي عاشه الشعب العراقي من طرف السلطة والمستعمر.

فما هو الدور الذي لعبه شعر السياب في الجانب السياسي؟

أ- البعد السياسي في شعر السياب:

تحوّل بدر الرومانسي الحساس إلى واقعي شرس يحمل همّ الشعب العراقي، فكان لسان حال شعبه و كان عند حسن ظن قومه و وطنه به.

دخل السياب المعترك السياسي وهو لا يزال طالبًا في دار المعلمين، وكان محبوبا عند أساتذته وزملائه وأسهم شعره ودوره النضالي في هذه الآونة في إيجاد الشخصية المميزة له، كما أضاف إلى شعره المزيد من الصدق وأتاح له الانتشار، واستطاع أن يلفت أنظار السلطات الحكومية أو يكسب ثقة الطلاب، ونظرا لموقعه المهم ونشاطه الملفت أُنتخب رئيسا لاتحاد الطلبة.[1]

نشأ السياب مثالي بطبعه « كان بدر يتصور مجتمعا مثاليا يعيش فيه الناس متساويين ويعاون بعضهم بعضا ويعيشون في سلام وعدل فتلك كانت طبيعته المثالية لكنه شعر بالظلم والاستغلال والقوي يطغى على الضعيف فشعر بالاختلال وسوء النظام الاجتماعي في العراق غير أن تذمرات السياب لم تكن بدون مبرر حقيقي».[2]

انحدر السياب من عائلة مزارعة تملك البساتين يشتغل فيها الفلاحون ومع أن أهله كانوا من أطيب الناس قلوبا وبساطة وديمقراطية، إلا أنه رأى منهم من الظلم الكثير، ويروي لنا قصة زنوبة التي كانت تشتغل في بيت أهله، أنها دفعتها الحاجة وجوع أطفالها أن تجرأت وسرقت حفنة من الرز وأخفتها في ثيابها لكن أهله رأوا الرز الذي هيّأته لتأخذه حين تغادر الدار ففضحوا أمرها فشعرت بالخزي والعار والأسف والخوف[3]، فبقي هذا المشهد راسخا في ذهن السياب يقول: « إن هذا المشهد وسواه من المشاهد انطبعت في نفسي منذ الطفولة فنشأت كارها للظلم، مُحبا للآخرين» [4]، وكما أن عائلته مارست الظلم على الخادمة الفقيرة المحتاجة وجعلتها تحس بالإذلال وقع عليها ـ عائلته ـ الظلم « فأسباب شخصية جعلته

---

[1]– ينظر: سالم المعوش، بدر شاكر السياب نموذج شعري لم يكتمل، 81.

[2]– بثينة علي إبراهيم مرزوق، الأدب السياسي و الحداثة في الشعر العربي، ص 43.

[3] – ينظر: بدر شاكر السياب، كنت شيوعيا، بغداد، منشورات الجمل، ط1، 2007، ص 08.

[4]– نفسه، ص 08.

يشعر أن أسرته بصورة خاصة كانت عرضة للظلم والاستغلال... تأتي ظروف لتجرد جدّه بشرعية من بعض أملاكه الموروثة عن الأجداد»[1].

فمثل هذه الظواهر الاجتماعية مثل الظلم والفقر والتفاوت الطبقي جعلته يتعاطف مع الحزب الشيوعي العراقي قائلا عن الشيوعية أنها جاءت « تنادي بالعمل للجميع والطعام للجميع والعدالة والمساواة بين البشر ومن لا يريد العمل للجميع والطعام للجميع والعدالة والمساواة؟ هذا ما كنا نعرفه عن الشيوعية في بادئ الأمر»[2]، فساقته عواطفه وميوله وحبه للخير والعدل وعطفه على الفقراء والمساكين إلى الاحتكاك بالشيوعية أكثر فأكثر ليصبح مع مرور الوقت لا مجرّد شيوعي وإنّما عضو في الحزب الشيوعي وعضو بارز في تنظيمه إذ أصبح يبدي رأيه في النقاشات السياسية بكل حماسة و وضوح فكان انخراطه في هذا الحزب بداية معاناة أخرى في مجال نضاله السياسي .

ولأن السياب كان على حسن نية ارتبط ارتباطا وثيقا مع اليسار المتطرف في العراق فكان ثوريا عنيفا كأعنف ما يكون الثوريون، فنزل إلى الشارع مع المتظاهرين بمناسبة معاهدة بورتسموت سنة 1947ـ 1948 ليهتف وينشد الشعر، فتصفق له ألوف الأكف، وتدعو له ألوف الحناجر ولكن نال ما يناله المتظاهرون من سجن واضطهاد في ظل حكم ملكي يعاقب معارضيه[3]، وعندما عادت المظاهرات والإضرابات من جديد « وكانت المطالب تؤكد على تحديد ملكية الأراضي الزراعية وتجريد القبائل من أسلحتها وتخفيض أسعار السلع الاستهلاكية وإعادة النظر في الامتيازات الملكية وإلغاء معاهدة 1930 مع بريطانيا وإعادة

---

[1]- بثينة علي إبراهيم مرزوق، الأدب السياسي و الحداثة في الشعر العربي، ص 43، 44.

[2]- بدر شاكر السياب، كنت شيوعيا، ص 08.

[3]- ينظر: عبد الجبار داوود البصري، بدر شاكر السياب رائد الشعر الحر، ص 11.

النظر في أحقية كفالة الغرب لمخططات الدفاع الإقليمي بالإضافة إلى تهديد المعارضة بمقاطعة الانتخابات إن لم تُجر على مرحلة واحدة»[1] .

وكان من الطبيعي أن يشارك بدر في مثل هذه الحركات الوطنية وعندما دبت الفوضى في البلاد وفقدت الشرطة زمام الأمر وكان من بين المعتقلين أصدقاء بدر ورفاقه، فتوجّه بدر متنكرًا هاربا إلى إيران، قضى في إيران ما يقرب سبعين يومًا وبعد أن أعانه بعض أصدقائه الشيوعيون في إيران سافر إلى الكويت بجواز سفر إيراني وكتب قصيدة بعنوان"فرار" يقص فيها أخبار هذا السفر والمخاطر التي اجتازها[2].

ونذكر منها: [3]

في ليلة كانت شرا بينها

فحمًا، وكانت أرضها من لحود

يأكل من أقدامنا طينها

تسعى إلى الماء

إلى شراع مزقته الرعود

فوق سفين دون أضواء

في الضفة الأخرى...يكاد العراق

يومي؟يا أهلا بأبنائي

---

[1]- سالم المعوش،بدر شاكر السياب نموذج شعري لم يكتمل، ص 100.

[2]- ينظر: نفسه، ص 104.

[3] - بدر شاكر السياب، المعبد الغريق، ص 75.

لكننا، وا حسرتاه لن تعود

وبعد أن وطأت قدماه ديار غريبة عن أرضه ولغته وفي مناخ اجتماعي غير مناخ قومه عرف ألم الغربة وذلة الغريب وانكسرت نفسه وكتب في هذا السياق قصيدة " غريب على الخليج" نذكر منها: [1]

إني لأعجب كيف يمكن أن يخون الخائنون

أن يخون إنسان بلاده

إن خان معنى أن يكون، فكيف يمكن أن يكون

والقصيدة في مجملها يعبر فيها السياب عن حالته وهو غريب مطارد عن وطنه العراق وعن الحنين إليها، إذ أن تجربته مع الحزب الشيوعي كلفته الكثير من التشرد والاضطهاد من جهة أخرى حولت إحساسه الفردي إلى إحساس بالجماعة كما سمحت له هذه التجربة إلى التعرف على حقيقة الشيوعيين وأخلاقهم «فتجمع لديه ما تجمع من تناقضات وسلبيات عن الممارسات الحزبية التي لم يرض عنها. وكان ذلك خطوات على طريق استكمال القطيعة مع الشيوعيين العراقيين »[2] وقد أعلن عن ذلك قائلا: « غير أني لم يعد يربطني بالشيوعيين غير خط واه ضعيف وكان أقل خطأ يرتكبونه كافيا لأن يقطع هذا الخيط بيني وبينهم وقد ارتكبوا هذا الخطأ بسرعة»[3].

وبعد هذه التجربة مع الحزب والانفصال عنه أصبحت الصورة الجديدة لبدر ممثلة في شعره وكانت حالته الشخصية هي حالة العراق حقا والتي كانت أوضاعها السياسية لا

---

[1]- بدر شاكر السياب، أنشودة المطر، ص 11.

[2]– سالم المعوش، بدر شاكر السياب، نموذج شعري لم يكتمل،ص 120.

[3]– بد ر شاكر السياب، كنت شيوعيا، ص 18.

تبشر بالخير وأن في المجتمع قوى من الظلم والاضطهاد وقد عبّر السياب عن ذلك في قصيدته "مدينة بلا مطر":[1]

مدينتنا يؤرق ليلها نار بلا لهب

تحم دروبها والدور ثم تزول حماها

ويصبغها الغروب بكل ما حملته من سحب

فتوشك أن تطير شرارة ويهب موتاها

صحا من نومه الطيني تحت عرائش العنب

عبّر السياب في هذه الأبيات عن حالة القلق والتوتر في بلاده العراق وتأهب الجماهير لتغير الأوضاع التي عليها حال البلاد منتظرة قيام ثورة الشعب وكلمتا النار بلا لهب هي حالة الثورة قبل قيامها، والغروب هو نهاية الطغاة وتراكم السحب التي تنزل مطرًا يغسل العراق من أوضاعها المزرية.

كما أصبح يهاجم الشيوعيين بكل ما أوتي له من قوة بعد أن حمل من تجربته معهم صورة أعمق عن الظلم ولؤم السياسيين وفظاعة أعمالهم « وقد هاجم بدر موقف الشيوعيين بضراوة وصوّر مذبحتي الموصل وكركوك تصويرا مرعبا أدى ضمن ما أدى إلى إرهاق أعصابه بعد أن سيطرت مشاعر الرعب والدم على خياله وهذا بدوره أدى إلى تدهور صحته شيئا فشيئا وما كان بمقدور بدر أن يهاجم الشيوعيين إلا بعد أن تكسرت موجتهم وذلك عندما وقف عبد الكريم قاسم في التاسع والعشرين من تموز 1958 ليتهم الشيوعيين علنا ويهدد باستعمال الشدة وبذلك بدأت موجتهم في الانحصار»[2].

---

[1]- بدر شاكر السياب، أنشودة المطر، ص 155.

[2]- بثينة علي إبراهيم مرزوق، الأدب السياسي و الحداثة في الشعر العربي الحديث، ص127.

وفي مقطع من مقاطع قصيدة"رؤيا" يصور لنا السياب المشهد المفزع للشهيدة حفصة بقوله: [1]

لأنها ليست شيوعية

يقطع نهداها

تسمل عيناها

تصلب صلبا فوق زيتونة

تهزها الريح الجنوبية

تمثالك الآلاف مجنونة

من رعبها تمثالك الأحمر

كأنه الشقيق بزهر

عشتار على ساق شجرة

صلبوها...دقوا مسمارًا

في بيت الميلاد...الرحم

عشتار بحفصة مستترة

[1]- بدر شاكر السياب، أنشودة المطر، ص 11.

استطاع السياب في هذه الأبيات أن يصف لنا بدقة متناهية لحظة مقتل الشهيدة حفصة وصورة التعذيب الذي تعرض لها جسدها العفيف الذي حاول الشيوعيون افتراسه وانتهاك عرضها.

وبعد أن عاد قاسم وحكمه إلى بغداد أصبح يدمر ويحرق ويقتل المئات بلا رحمة يقول السياب وهو يصف بغداد قبل ثورة 1958: [1]

بغداد كابوس: ردى فاسد

يجرعه الرافد

ساعاته الأيام، أيامه الأعوام، العام نير

العام جرح ثاغر في الضمير

عيون المهابين الرضافة والجسر

ثقوب رصاص رقشت صفحة البدر

ويسكب البدر على بغداد؟

من ثقى النينن شلالا من الرماد؟

الدور دار واحدة

وتعصر الدروب كالخيوط كلها

في قبضة ماردة

تمطها تشلها،

[1]- بدر شاكر السياب، أنشودة المطر، ص123 .

تحتلها دربا إلى الهجير

يصف السياب حالة بغداد ومعاناة أهلها المادية والمعنوية من فساد وضياع وقتل للأبرياء وشلل لحركة الحياة وكيف أن أهل بغداد يشعرون بطول الزمن وحركته البطيئة من كثرة الهموم والأزمات التي نغصت حياتهم وكلهم وحدة واستعداد لاستقبال الثورة بهدف التغيير.

غنى السياب للمطر أعز أناشيده فهو الذي يروي الأرض بعد جفافها ويعيد إليها الحياة فيجيء هذا المطر وتكون الثورة في 14 تموز 1958 « و وقف السياب إلى جانب ثورة 14 تموز، فحيّاها بقصيدة سمّاها "يوم ارتوى الثائر" تشفى فيها بمصرع "نورى السعيد" الذي مزقت الجماهير جسده، دون أن يشفى غليله»[1] ، ولكن السياب أخفق في تحقيق أحلامه الثورية « وما هي إلا أيام قلائل فيخيب أمله وتذوى أحلامه الوليدة وهي طرية.. وإذا بالمطر خيوط نار، وإذا بالخصب محل، وإذا بالري ظمأ..»[2] ويعبر عن ذلك في قصيدة "مدينة السندباد" بقوله: [3]

... يا أيها الربيع

يا أيها الربيع، ما الذي دهاك؟

جئت بلا مطر

جئت بلا زهر

جئت بلا ثمر

---

[1]- سامي يوسف أبو زيد، الأدب العربي الحديث، ص 319.

[2]- عبد الجبار داود البصري، بدر شاكر السياب رائد الشعر الحر، ص 12.

[3]- بدر شاكر السياب، أنشودة المطر، ص 137.

وكان منتهاك مثل مبتداك

يلفه النجيع

فبعد أن انحرف قاسم بالثورة وساند الشيوعيين، لم تحقق الثورة ما كان يصبو إليه، من حرية وعدالة فعبر عن خيبة أمله في الثورة التي جاءت ربيعا عقيما بلا مطر، ولا زهر، ولا ثمر.

ويواصل في نفس القصيدة في المقطع الثالث مؤرخا لحالة العراق خلال الحكم القاسمي: [1]

الموت في الشوارع

العقم في المزارع

وكل ما نحبه يموت

الماء قيدوه في البيوت

والهث الجداول الجفاف

هم التتار أقبل, ففي المدى رعاف..

أما موقف السياب من عبد الكريم قاسم فكان متناقضا ولعلّ «تناقض السياب مع نفسه من مواقفه من "قاسم" لم يكن تناقضا حقيقيا، بقدر ما كان يعكس التناقض الكبير في شخصية الزعيم "قاسم" نفسه الذي انقلب على الثورة ونكّل برفاق السلاح»[2] فبعد أن مدحه

[1]- بدر شاكر السياب، أنشودة المطر، ص 137.

[2]- سامي يوسف أبو زيد، الأدب العربي الحديث، ص 321.

في قصيدة "سربروس في بابل" عاد يهجوه في قصيدته التي سمّاها قصيدة" العراق الثائر". وهو في مشفاه في لندن.

إذ قال: [1]

هرع الطبيب إليّ وهو يقول: ماذا في العراق؟

الجيش ثار ومات "قاسم" أيُّ بشرى بالشفاء !

ولكدت من فرحي أقوم، أسير، أعدو، دون داء

إلى أن يقول:

فلتحرسوها ثورة عربية، صُعق الرفاق،

منها و خرّ الظالمون،

لأن "تموز" ستفاق

من بعد ما سرق العميل سناه،

فانبعث العراق

وصف الشاعر هنا قاسم بالعميل الذي سرق الثورة، ولكن أبناء العراق لم يستسلموا، وعندما سقط وأعدم بالرصاص كان الخبر بالنسبة للسياب بشرى بالشفاء و كان ذلك بفضل أبناء الأمة العربية وأبناء العراق.

نزل السياب من برج الحلم المتعالي إلى حياة الواقع المرير ليقارع جماعة الطامعين إلى السلطة واغتصاب حقوق الناس ومطاردة أعداء الوطن ولكن « لم يكن الحب بأفضل من

[1]– بدر شاكر السياب، منزل الأقنان، دار الملايين، بيروت، ط1، 1963، ص 137، 138.

السياسة فتجاربهما أودت به إلى الفشل وقذفته إلى الرصيف .. أخفق في الحب ولم يجد الصدر الذي يرتاح إليه، كما أخفق في السياسة .. أمران جميلان كانا يخفقان في قلب بدر... قتلا أو كاد يقتلان »[1]، فأحلام بدر كانت جزءا من أحلام الثوار العرب في تحقيق مجتمع أفضل خالي من المشاكل يقضي على بواعث الجمود ورموز السيطرة فنجده يعبر عن مدى ثوريته وعنفه وثقته بنفسه في قصيدته " قارئ الدم" : [2]

أنا أيها الطاغوت مقتحم الرتاج على الغيوب

أبصرت يومك وهو يأزف..

هذه سحب الغروب

إلى أن يقول:

إني أكلت مع الضحايا في صحاف من دماء

وشربت ما ترك الفم المسلول منه على الوعاء

وشممت ما سلخ الجذام من الجلود على ردائي

ونشقتُ ماء جوارب السجناء في نفس الهواء

فتشممت فيه دخان دارك واحترق بنيك فيها

وشواء لحم بنيك، لولا أن شيمه محرقيها

ألا يذوق الأبرياء جزاء غير الأبرياء

---

[1]- سالم المعوش، بدر شاكر السياب نموذج شعري لم يكتمل، ص 113.

[2]- بدر شاكر السياب، أنشودة المطر، ص 116، 117.

فالسياب يرى أنه من العدل أن يذوق الطغاة مرارة السجن وعذاب الضحايا والأبرياء الذين عرّضوهم لمختلف أصناف التعذيب والإهانة فتحرق بيوت الطغاة وتشوى لحوم أبناءهم كما فعلوهم بالأبرياء وأبناءهم، يقول في قصيدة " الأسلحة والأطفال" : [1]

لأن الطغاة

يريدون ألا تتم الحياة

مداها، وألا يحس العبيد

بأن الرغيف الذي يأكلون

أمرّ من العلقم

وأن الشراب الذي يشربون

أجاج بطعم الدم

وأن الحياة الحياة انعتا

وأن ينكروا ما تراه العيون

فلا بيدر في سهول العراق

ولا صبية في الضحى يلعبون

و يقول السياب في نفس القصيدة : [2]

لأن الطواغيت لا يحلمون

---

[1]- بدر شاكر السياب، أنشودة المطر، ص 235.

[2]- نفسه، ص 236.

بغير المبيعات والأسهم

وأن الطواغيت لا يسمحون

سوى رنة الفلس والدرهم

لأن الطواغيت لا يبصرون

على الشاطئ الأسيوي البعيد

سوى أن سوق يباع الحديد

وتستهلك الريح والنار فيها

تدر العطايا على فاتحيها

يبين السياب الفرق بين حياة الطغاة واهتمامهم باقتصاد البلاد واستنزاف خيراتها لمصالحهم وفي المقابل يصف السياب الحياة التي يريدها الطغاة للطبقة البسيطة التي لا شأن لها في تسيير أمور البلاد وأن يستحسن الشعب لذة الرغيف بالرغم من مرارته ويتلذذ بالشراب بالرغم من أنه يشبه الدم وأن ينكروا كل ما تراه العيون من صور الاستغلال والظلم.

وينقل السياب هذا الواقع الكريه المرير المليء بالمؤامرات واغتصاب الحقوق من أصحابها وهو يتألم لحال هذا الواقع إذ نلمس هذا الإحساس بحال مجتمعه في أغلب قصائده كما رأينا، ونجده في المقابل يحلم بتغيير هذا الواقع، من حالته البائسة إلى حالة أفضل مليئة بالحب والحنان بعيدة عن الانتهازية والقتل.

ويطلعنا السياب على ما آلت إليه بعض نفوس البشر الضعاف ويمزج ذلك مع صورة المخبر(الجاسوس) والذي قد تكون الظروف الاجتماعية وحاجته المادية الماسة أجبرته كي يتجسس على أبناء وطنه ويقدم للأعداء التقارير حول الناشطين بالأحزاب السياسية

والمناضلين الشرفاء عن قضياهم الوطنية[1]، وقد أفرج السياب عن قصيدة بعنوان" المخبر" يتحدث فيها عن أحد المخبرين المنزرعين حوله، ويقول على لسان المخبر:[2]

أنا ما تشاء: أنا الحقير

صبّاغ أحذية الغزاة، وبائع الدم والضمير

للظالمين، أنا الغراب

يقتات من جثث الفراخ، أنا الدمار، أنا الخراب

شفة البغي أعفّ من قلبي، وأجنحة الذباب،

أنقى وأدفأ من يديّ، كما تشاء.. أنا الحقير !

لكن لي من مقلتيّ، إذا تتبعنا خطاك

وتقرّنا قسمات وجهك و ارتعاشك، ابرتين

ستسجان لك الشراك

و حواشي الكفن الملطّخ بالدماء، و جمرتين

تروّعان رؤاك إن لم تحرقاك !

ويبين الشاعر مصير هذا المخبر الذي يتبع كل صغيرة وكبيرة لينقلها إلى الأطراف التي نصّبته وإذ ما تمّ القبض عليه سيكون جزاؤه القتل والحرق.

---

[1]- ينظر: خالد فيّاض الشرفات، المؤثرات الاجتماعية في نشوء الشعر الحر شعر بدر شاكر السياب نموذجا، ص 424.

[2]- بدر شاكر السياب، أنشودة المطر، ص 27.

استطاع بدر شاكر السياب من خلال قصائده خلال هذه المرحلة أن ينقل لنا تجربته مع الكفاح السياسي، ويصوّر لنا حال العراق السياسي ويدب فيه من قمع ومؤامرات وحرمان للحريات الفردية والجماعية واقفا مع إخوانه الثوار بهدف الثورة على الأوضاع وتغييرها .

ب- البعد القومي في شعر السياب:

التزم الشاعر العربي بقضايا أمته العربية، وكانت الظروف السياسية التي مرّت بها الدول العربية قاسية بسبب الاحتلال الأجنبي للأرض العربية، مما أدى إلى بروز الشعر الوطني والقومي الذي كان رفيق المقاومة العربية لكلّ ألوان الاستعمار، ولا نكاد نجد شاعرا لم يشغله هذا الموضوع بحيث ندرك أنه عربي الانتماء وانغرست فيه ملامح العروبة، لذا أصبح المنظور القومي هو المدخل الأساسي للولوج إلى الشاعر كائنا من كان وبدر شاكر السياب أحد هؤلاء الشعراء القوميين فبعد أن كان يكتب عن الذات باحثا لها عن مكان في المجتمع، انتقل إلى الواقع منغمسا فيه متبنيا أفكارا من الواقع الذي جعله يصوّر الشقاء في بلده وخارجه، فلم تعد اهتمامات السياب شخصية بالدرجة الأولى ولا شيوعية حزبية بطريقة تعصبية، بل كانت رؤياه تحاول أن تشمل الأمة العربية الفتية في أزمتها الحديثة فكانت أزمته الروحية جزءا من أزمة العالم العربي كله وتبنى الحريّة قلبا وقالبا وراح يسرد بطولات الثوّار من مختلف الدول العربية.

ونلمس البعد القومي في شعر السياب في الكثير من قصائده ونذكر قصيدته "يوم الطغاة الأخير"، إذ كتب السياب تحت هذا العنوان عبارة (أغنية ثائر عربي من تونس إلى رفيقته) وحيّ فيها السياب ثورة تونس ونذكر منها: [1]

تقولين لي: «هل رأيت النجوم

[1] – بدر شاكر السياب، أنشودة المطر، ص 60، 61.

وكم أشرقت قبل هذا المساء

على عالم لطّخته الدماء

دماء المساكين و الأبرياء ! »

تقولين لي: « هل رأيت النجوم

تطلّ على أرضنا و هي حرّة

لأول مرّة»

نعم. أمس حين التفت إليك

ترائين كالهجس في مقلتيك

***

تقولين « نحن ابتداء الطريق

ونحن الذين اعتصرنا الحياة:

من الصخر تدمى عليه الجباه

ويمتص ريَّ الشفاه

من الموت في موحشات السجون؟

من البؤس، من خاويات البطون،

لأجيالها الآتية»

والمتأمل للقصيدة لا يجد ذكرا لتونس ولكن معاني القصيدة من بدايتها إلى نهايتها تؤكد على الانتماء إلى الأرض العربية وعلى المساندة والتآخي بين العرب سواء في تونس أو العراق أو في أي قطر عربي.

وقد أثارت هذه القصيدة نقاش الشيوعيين حول مقدمة القصيدة التي جاءت على أنها لسان ثائر عربي من تونس، ويصرّح السياب عن موقف الشيوعيين قائلا: « وثارت ثائرة الشيوعيون لهذا الإهداء لقد آذاهم أن تهدي القصيدة إلى ثائر عربي، وشممت رائحة الشعوبية اللعينة في هذا الموقف الشيوعي، وربطت بينه وبين مواقفهم المتعددة التي أظهروا فيها عداءهم الصريح للعرب وللقومية العربية»[1]، وكان بدر يزداد شهرة داخل العراق وخارجه نظرًا لمواكبته حركة الجماهير العربية بشعره وكان أهم ما أنتجه بدر خلال السنوات (1951. 1954) ، مطولاته الأربع : فجر السلام 1951، حفار القبور 1952، المومس العمياء 1954، وكانت هذه المطولات تجربة جديدة في الشعر العربي الحديث وكان السياب قد بدأ يكشف فيها عن اتجاهات قومية عربية وقد أقام علاقات مع مناضلين قوميين، كما أنشأ علاقة مع مجلة الآداب وأخذ ينشر قصائد على صفحاتها ذات اتجاه وطني وقومي وإنساني ومنها قصيدته القومية "في المغرب العربي" غير أن قصيدته [2] "المومس العمياء"، كانت الضربة القاضية في انفصاله عن الشيوعيين وتجرّده سياسيا من أي التزام و لكنه لم يستطع أن ينفصل عن أمور السياسة في العراق « ففي الوقت الذي كان السياب يخدم فيه القضايا السياسية في العراق كان يخدم أيضا القضايا القومية والإنسانية»[3]، وقصيدة "المومس العمياء" يحكي فيها السياب قصة فتاة قروية اسمها (سليمة) ابنة فلاح يتّهم بسرقة

---

[1] – بدر شاكر السياب، كنت شيوعيا، ص 20.

[2]– ينظر: بدر شاكر السياب، الديوان، مج1، ص 36،37.

[3] – بثينة علي إبراهيم مرزوق، الأدب السياسي و الحداثة في الشعر العربي ، ص 127.

قمح أحد الإقطاعيين فيقتل وتبقى ابنته ضائعة تهبط إلى المدينة لتبيع جسدها في مبغى من المباغي ويلتهم الجنود الأجانب جسدها، لكنها تصاب بالعمى بعد مدّة من الزمن وما يؤسف هذه المرأة العمياء أنها عربية يستبيحها الأجنبي ويلطّخ شرفها ويحوّلها إلى الضياع، تطؤها كل قدم ويعبث فيها فساد كل أجنبي وخائن أرضه وعروبته ودينه[1] ، وهكذا تغدو المومس رمزا للأرض والظلم الذي يجري عليها والنهب الذي يمارسه الأجنبي فيها يقول السياب على لسان المومس: [2]

مازلت أعرف كل ذاك، فجربوني يا سكارى !

من ضاجع العربية السمراء لا يلقى خسارا

كالقمح لونك يا ابنة العرب

كالفجر بين عرائش العنب

أو كالفرات على ملامحه

دعه الثرى طلاوة الذهب

لا تتركني... فالضحى نسبي

من فاتح، و مجاهد و نبي !

عربية أنا: أمتي دمها

خير الدماء.. كما يقول أبي

---

[1]- بثينة علي إبراهيم مرزوق، الأدب السياسي و الحداثة في الشعر العربي، ص 127.

[2]- بدر شاكر السياب، أنشودة المطر، ص 196، 197.

في موضع الأرجاس من جسدي، وفي الثدي المذال

تجري دماء الفاتحين، فلوثوها، يا رجال

أواه من جنس الرجال...فأمس عاث بها الجنود

الزاحفون في البحار كما يفور قطيع دود

يا ليت للموتى عيونا من هباء في الهواء

ترى شقائي

ففي هذا المقطع من المطوّلة إشارة إلى الاتجاه الجديد الذي سلكه السياب في معالجته للقضايا السياسية ومنها القضايا القومية وهذا ما أثار رفاقه الشيوعيون وقد أكّد السياب في شرح هذا المقطع موقفه القومي الذي يقطع به على الشيوعيون طريقهم للنيل من العرب وقوميتهم في قوله « ضاع مفهوم القومية عندنا بين الشعريين و الشوفيين، يجب أن تكون القومية شعبية و الشعبية قومية، يجب جعل أحفاد محمد وعمر وعلي وأبي ذر والخوارج والشيعة الأوائل والمعتزلة يعيشون عيشة تليق بهم كبشر وكورثة لأمجاد الأمة العربية: أفليس عارا علينا نحن العرب أن تكون بناتنا بغايا يضاجعن الناس من كل جنس ولون؟»[1] فالسياب يرى الشعوبية اتجاها معاديا للقومية العربية وهي نوع من التعصب العرقي في حين يرى السياب « القومية العربية المتحررة تعرف العربي بأنه الإنسان الذي يعيش في أحد أجزاء الوطن العربي الكبير ويتكلم اللغة العربية ويشعر بأنه جزء من الأمة العربية، وهي لا تنظر إلى أبعد من ذلك إلى أصله مثلا»[2]، ونلمس البعد القومي في شعر السياب في

[1]- بدر شاكر السياب، كنت شيوعيا، ص 22.

[2]- نفسه، ص 22.

قصيدته، "قافلة الضياع" مصوّرا الأوضاع المتردية التي وصل إليها العرب والفلسطينيين على يد الصهاينة فيقول: [1]

أ رأيت قافلة الضياع أما رأيت النازحين؟

« قابيل أين أخوك»

« يرقد في خيام اللاجئين»

النار تصهل من ورائي والقذائف لا تنام

عُيونهما وأبى على ظهري وفي رحمي جنين

لم يُخرجونا من قُرانا وحدهن ولا من المدن الرخيّة

لكنهم قد أخرجونا من صعيد الآدمية

فاليوم تمتلئ الكهوف بنا ونعوي جائعين

ونموت فيها لا نخلف بعدنا حتى قبور

ماذا نحط على شواهدنا؟ ... « كانوا لاجئين؟»

يظهر السياب في هذا المقطع حزنه العميق وأسفه الشديد على حال اللاجئين الفلسطينيين وما حلّ بالشعب الفلسطيني من ترحيل أهلها عن أراضيهم إلى الخيام والكهوف ويعيشون هناك في ذلة وحسرة ولا يجدون خبزا أو شربة ماء كما أنه « ذكر هابيل قتل على يد أخيه قابيل وهي أوّل جريمة ارتكبها الإنسان على الأرض في حق أخيه الإنسان، والشاعر حين يطالب بدفن الموتى فإنما يدعو إلى ترك النضال الزائف والبدء بالنضال الحقيقي ودفن

[1]- بدر شاكر السياب، أنشودة المطر ص 50، 53.

اللاجئين يعني عدم المتاجرة باسمهم وهو يشكّل الخطوة الأولى للثورة الحقيقية ويسأل الشاعر قابيل متمثلا في الأنظمة العربية "أين أخوك" أي هابيل الشعب العربي الفلسطيني فتجيب لسان حال الرجعية العربية العميلة يرقد أخي في خيام اللاجئين»[1].

"قافلة الضياع" هي عنوان القصيدة تتمثل في اللاجئين الفلسطينيين النازحين والمشتتين إلى خارج حدود أرضهم من دون أي رحمة، فنجد السياب في هذا الموضع ملتزم بقضايا الوطن العربي وما يعايشه من معاناة ويلحق العار بالعرب لأنهم غفلوا عن حقهم الضائع.

والملاحظ في أغلب قصائد السياب أنه يخلط المواقف الاجتماعية بطريقة عجيبة فنجده يعبّر عن المواقف المختلفة والمتداخلة فيصرّح بها أو يُلمّح لها من خلال مزجه ما بين موقفه أو علاقته بالمرأة والقضية القومية كما رأينا في " المومس العمياء" فنجده يقول في قصيدته " تعتيم":[2]

حين يذر النور

يلقى به التنور

على وجهك الظلماء

و يهمس الديجور

آهاته السمراء على محياك

يطل حزن الدهور

وكل أعيادها

---

[1]- بثينة علي إبراهيم مرزوق، الأدب السياسي و الحداثة في الشعر العربي، ص 159.

[2]- بدر شاكر السياب، أنشودة المطر، ص 25.

أفراح ميلادها

وغمغمات النذور

وزهرها والخمور

فالسياب هنا يتوّجه بالحديث لامرأة ليست امرأة بعينها فربما تكون زوجته أو حبيبته ويرمز بها الأمة العربية التي يبدد فيها الظلام والفقر بعد أن يذر النور فيها وهذه العبارات تشير إلى معنى الثورة التي ستعود بالخير على أهل البلاد .

لقد عايش الشاعر قضايا قومه بعمق الإحساس وشعوره بالمسؤولية نظرا لقسوة التجربة التي عاشها منذ طفولته حتى سن الشباب والمرحلة التاريخية التي وجد نفسه فيها وانعكاسها على الحياة الاجتماعية في الأرض العربية التي كانت تعاني من هم واحد « لقد كان لكل قطر عربي مشاكله الخاصة ولكن الهم العربي واحد وهو الاستعمار والأطماع في أرض العرب وثرواتهم وإذلالهم حتى يتسنى للإمبريالية السيطرة عليهم» [1]، فقدم السياب قصيدة " ربيع الجزائر" والتي خرج بها الشاعر من أجواء الوطن إلى القومية، فالبرغم من أن الشاعر عراقي إلا أنه تمكّن من وصف الجزائر الثائرة يقول فيها: [2]

سلاما بلاد اللظى والخراب

ومأوى اليتامى وأرض القبور

أتى الغيث و اتحلّ عقد السحاب

فروى ثرى جائعا للبذور...

---

[1]- بثينة علي إبراهيم مرزوق، الأدب السياسي و الحداثة في الشعر العربي، ص 168.

[2]- بدر شاكر السياب، منزل الأقنان، ص 19، 25.

وذاب الجناح الحديد

سلاما بلاد الثكالى بلاد الأيامي

سلاما.

فاللظى والخراب ينتشر في كل بقعة من أرض الجزائر التي كثرت فيها اليتامى وانتشرت فيه القبور في كل مكان، وهو يأمل مستقبلا تزول فيه المآسي، ويسعد فيه هتاف الحرية، والقصيدة كتبها السياب بمناسبة استقلال الجزائر في عام 1962 « إن عنوان القصيدة يوحى ابتداء بالبهجة، وهو ما يتفق ظاهرا مع المناسبة التي تعيشها الجزائر بخلاصها من الاحتلال، ولكنه يخلق (مفارقة) صادمة مع نص القصيدة الذي يتشح بالحزن، ويوحى بالفجيعة، وقد بنيت القصيدة على ستة مقاطع جاء الأول والثاني منها منسجمين مع المناسبة، ففي الأول تحية للجزائر بانتهاء الحرب ومجيء الغيث الذي يروي الثرى الجائع للبذور»[1].

ومن القصائد التي كتبها السياب عن الثورة الجزائرية قصيدته " إلى جميلة بوحيرد" يقول في خاتمة القصيدة : [2]

إنا سنمضي في طريق الفناء

ولترفعي (أوراس) حتى السماء

حتى تروى من مسيل الدماء

أعراق كل الناس، كل الصخور

---

[1]- كريم مهدي المسعودي، القومية في شعر السياب أوهام البحث و حقيقة النص، مجلة تسليم، تصدر عن قسم اللغة العربية، جامعة القادسية العراق، ع الثالث و الرابع، مج 2، 2018، ص 361.

[2]- بدر شاكر السياب، أنشودة المطر، ص 70.

حتى نمسّ الله

حتى نثور

يتجه السياب صوب الجزائر التي تمرّ بالحركة والحياة والثورة، ويقارنها بواقع الوطن العراق الذي يموت فيه الناس ولا يستجيبون لنداء الثورة، فمنطلق السياب هنا وطني حين يعبّر عمّا هو (قوميّ) « إن هذه القصيدة – والقصائد الأخرى التي كتبها عن الجزائر – تتضمن توقه إلى أن يجد في الموقف الثوري الذي بدأت تباشيره تظهر هناك وما يحرك سكون (القبور) في واقعه الوطني، وإذا أردنا أن نتحدث عن (التزام) فهو التزام الشاعر بشأن (الجماعة) من منطلق الحب الإنساني للمقهورين الذين يريد لهم السياب أن يحققوا حياتهم للثورة على كل ما يستلب إنسانيتهم، وإن يحيلهم أشباحا تتحرك بلا روح»[1] .

فهذا الموقف النقدي يقرّ أن البعد القومي في شعر السياب لا يتجاوز الالتزام الوطني والإنساني، ورغم هذا الموقف الذي يشكّك في قومية السياب، إلا أننا أكدنا في مقاطع كثيرة من قصائد متعددة، فهناك من يرى من الدارسين أن قصيدة " المخبر" تضاف إلى قصائد أخرى يذكرها السياب في بداية انعطافه نحو القومية، والقول بقومية السياب في هذه القصيدة مبني على ما جاء في هذا المقطع: [2]

وتقول: أصبح لا يراني... بيد أن دمى يراك

إني أحسك في الهواء وفي عيون القارئين

لم يقرؤوا لأن تونس تستفيق على النضال؟

ولأن ثوار الجزائر ينسجون من الرمال

---

[1]– كريم مهدي المسعودي، القومية في شعر السياب، أوهام البحث و حقيقة النص، ص 359.

[2]– بدر شاكر السياب، أنشودة المطر، ص 27، 28.

ومن العواصف و السيول ومن لهات الجائعين

كفن الطغاة؟ وما تزال قذائف المتطوعين

يصرخن في غسق القتال؟

فهو يوّضح لنا حال المخبر الذي يتجسّس على أسرار المناضلين الشرفاء وقضاياهم الوطنية ويقدمها للأعداء فهذا المخبر أو (الجاسوس) منتشر في كل الدول العربية التي تعاني من الاستعمار الأجنبي سواء في تونس أو الجزائر أو في أي قطر من الأقطار العربية.

ومن القصائد أيضا التي لم يختلف النقاد والباحثون على أنها من القصائد القومية قصيدة " في المغرب العربي" « وقد بلغت حماسة عدد من الباحثين لهذه القصيدة، وما تتضمنه من بعد قومي حدًا يدفع من يقف عند الدراسات والبحوث إلى الاعتقاد بأن خيوط القصائد السابقة عليها وجدت خلاصتها المكثفة فيها... وفيها تجاوب حي عميق بين الشاعر والانتفاضات العربية التحررية في شمال إفريقيا، في تونس، والمغرب فضلا على تجاوبه مع الفكر القومي العربي وشعاراته الإيديولوجية الحديثة»[1] .

ونذكر أيضا قصيدة " بور سعيد" التي تنطوي على موقف عربي أصيل يمثله السياب في تضامنه مع الشعب المصري .

هكذا كان السياب من شعراء النضال السياسي في أبعاده المختلفة لا سيما البعد القومي، فأساس تحرير الأوطان وتحرير الإنسان يقتضي تعبئة جماهيرية تؤمن بقيمة المواجهة وتتقبّل التضحية والتحدي لقوى الشر والقمع التي استعمرت الدول العربية وهجنّت حضارتها وحرفّت تاريخها وعمقّت النزاعات الإقليمية البدائية بين أبناء العرب والأمة

[1]– كريم مهدي المسعودي، القومية في شعر السياب أوهام البحث وحقيقة النص، ص 364.

الإسلامية، ليتاح لهذه القوى الشريرة التمسك بزمام الأمور وترك قوى الخير على هامش الحياة.

وفي ختام هذا الفصل نستنتج أن انتقال السياب من مرحلة البحث عن الذات الفردية إلى مرحلة البحث عن الذات الجماعية، كان نتيجة تغيّر الظروف الاجتماعية و السياسية التي عاصرها، والتي ساهمت في تغيير رؤيته للحياة، وأظهر السياب في هذه المرحلة التزامه الاجتماعي والسياسي، كما سخّر شعره في الذود عن القضايا الوطنية والقومية في ظلّ الاستعمار ومناشدة الحرية قلبا وقالبا وإرساء قيم العدالة الاجتماعية وبذلك يعدّ السياب طليعة أمامية في الكفاح السياسي رغم صعوبة التاريخ والقمع بوجهيه المادي والمعنوي، ورغم أن السياب لم يكن واقعيا بالمعنى الحرفي لامتزاج الحس الرومانسي مع الحس الواقعي إلاّ أنه عاش ملحمة التحدي بكل أبعادها وسقط شهيدا للمبادئ السامية التي آمن بها وناضل في سبيل تحقيقها .

الفصل الثالث

الحضور الرمزي ومرحلة النهاية

1) الرمز عند السياب الأنواع و الدوافع و الأهمية:

لم تعد الصورة الشعرية التقليدية القائمة على التشبيه والاستعارة و وسائل البيان العربية الموروثة تحوي عالم السياب النفسي ولا حمل تجاربه الشعورية الإنسانية، كما أنها لا تحوي الوجود العربي المعاصر بواقعه المليء بالمتناقضات والصراعات وعليه لجأ إلى الرمز والأسطورة و وظفهما بشكل ملفت للأنظار الأمر الذي ساهم في توسيع طاقات الإيحاء في شعره وفتح المجال للدارسين والباحثين الخوض في تجربته من زوايا مختلفة وفتح مجال التأويل والتصور لاسيما حين يمزج السياب مشاعره وانفعالاته المعقدة بالألفاظ غير المألوفة وبضروب من الرموز والأساطير اللذان تتعدد مجالات كل منها، فمنها ما هو ديني ومنها ما هو أسطوري، تاريخي، طبيعي...الخ.

أ- أنواع الرموز الموظفة في شعر السياب:

1. الرموز الطبيعية في شعر السياب:

لطالما كانت الطبيعة ملهمة الشعراء حيث كانت الملجأ الأول لهم ولدواخلهم فجلّ الشعراء استقوا منها ومن ظواهرها ونهلوا منها رموزا تناسب مكنوناتهم فحاولوا استنطاقها بما يتلاءم مع رغباتهم وأحاسيسهم، فالطبيعة الخلابة والإنسان الكائن العجيب المليء بالأسرار يتشابهان في أغلب الحالات فالشعراء خاصة المعاصرين منهم جعلوا من الطبيعة ملهمة لهم ومتنفسا لرغباتهم فنذكر العراقي بدر المتنعم في كنف الطبيعة الجيكورية المليئة بغابات النخيل والأنهار، والأزهار والثمار فكل هذه المناظر الخلابةّ الساحرة استقطبت بدر وجذبته إليها ليجعل منها رموزًا تصوّر مشاعره وتجربته حين اتخذّ عناصر الطبيعة مادة أساسية ليشحن بها نصوصه الشعرية حيث أن العلاقة بينه و ينها صارت علاقة تكامل واندماج إذ هي المتنفس الوحيد الذي يبين فيه شكواه وآماله « والمتصفح في شعر بدر يقع على كثير من القصائد الصرفة التي جعلها في موضوع واحد هو الطبيعة أما ذكر هذه الطبيعة فإنه

يعم مجمل قصائده، ففي ديوانه " قيتارة الريح"، تعبر على قصائد في الطبيعة مثل: " ذبول أزهار الدفلى"، "وجدول جفّ ماؤه"، "والعشّ المهجور"... "ويا نهر"»[1]

استخدم السياب الرموز و وظفها بفنية خاصة الطبيعية منها لما تحمله من دلالات نفسية عميقة ليعبّر بها عمّا يختلج فؤاده من مشاعر وانفعالات « وفي ديوانه " البواكير" نرصد القصائد حيث يعيش الشاعر هواجس الطبيعة "على الشاطئ"، "ذكريات الريف"، "تحية القرية"، "يا ليل"، "أغنية الراعي" و "رثاء القطيع" "حورية النهر" "من أغاني الربيع"... وفي هذه القصائد توضح حضور الطبيعة الكثيف في شعر بدر»[2].

منذ أن فتح بدر عيناه على الدنيا أبصر طبيعة خضراء ساحرة فمنها استمدّ رموزا مختلفة منها الليل الذي جعل منه الشاعر « "قيتارة" يعزف عليها آلامه وآماله، وفرحه وتعاسته، أشواقه ورغباته فالليل موضع سهره وهو موعد لقاء الحبيبة »[3].

كذلك نجد عناصر طبيعية أخرى كلٌ ودلالتها « فالطبيعة حاضرة بمطرها وبحرها وأمواجها وخلجاتها وبروقها وسواحلها ونجومها ومجاريها وشروقها وليلها ونهارها ولؤلؤها وأصداء أوديتها ورعودها وسهولها وجبالها ورياحها وتاريخها ونخيلها وقراها »[4].

حيث أن قصيدة "أنشودة المطر" من أروع الأعمال الشعرية التي تحفل بمختلف الرموز التي تحمل دلالات وإيحاءات عدة فيتحدث بدر عن عيني حبيبته مشبها إياهما بغابتين من النخيل في قوله: [5]

---

[1]- سالم المعوش، بدر شاكر السياب، ص 282.

[2]- نفسه، ص 282.

[3]- نفسه، ص 285.

[4]- نفسه، ص 284.

[5]- بدر شاكر السياب، ديوان أنشودة المطر، ص 142.

عيناك غابتا نخيل ساعة السحر

أو شرفتان راح ينأى عنهما القمر

عيناك حين تبتسمان تورق الكروم

وترقص الأضواء. كالأقمار في نهر

وفي هذا المقطع يخاطب السياب امرأة ولكنه لم يصرّح إن كانت والدته الحقيقية أو حبيبته أو زوجته أو وطنه الحبيب " العراق"، فلجأ بدر إلى الطبيعة وتوحد مع عناصرها ليصف عينا هذه المحبوبة التي يخفي حقيقتها برموز استمدها من الطبيعة الساحرة، من نخيل وقمر وكروم وأنهار....الخ.

كما لم يغفل بدر نسج قصائده عن رمز طبيعي قد ألهمه بشدة المتمثل في المطر الذي يمثل الحياة والأمل كما يمثل الخصب والنماء ويقول في هذا: [1]

مطر

مطر

مطر

سيعشب العراق بالمطر

وظف بدر رمز المطر وتعامل معه « تعاملا مختلفا حين تناوله، إذ أوضحت بعض قصائده أنه كان يرى فيه الفكرة السائدة القديمة من أنه أصل الحياة»[2].

---

[1]– بدر شاكر السياب، ديوان أنشودة المطر، ص 146، 149.

[2]– عبد الرضا علي، الأسطورة في شعر السياب، منشورات وزارة الثقافة و الفنون، الجمهورية العراقية، 1978، ص 153.

ففي هذه المقطوعة يكرر من ذكرها ليبين مدى ضرورة المطر لتعود الحياة والأمل إلى أرض العراق وتزهر بهطوله، اتخذ بدر من المطر رمزا واسعا قادرا على حمل هواجس النفس والتجربة الإنسانية فتارة يدل على واقع العراق المضطهد « ففي مرحلة الحكم الملكي الإقطاعي في العراق صورت قصائد المطر حالة الضير والقهر الذي كانت تعاينه جماهير الشعب العراقي متمثلة في كادحيه وفلاحيه، وربط بين المطر وبين جوع العراق»[1].

فهذه الأحوال لن تدوم وأن المطر آت لا محالة، وأن الثورة سوف تغيّر كل شيء إلى أحسن رغم ما قد تفرزه من آلام وأحزان، حيث كان المطر بالنسبة للسياب رغم كل تلك التحويرات يحمل العديد من المعاني القيمة فهو رمز الأماني والربيع والأمل والعطاء والمستقبل الذي يتمناه للعراق وكان ذا دلالات أقوى من انفتاحه على المستقبل المنشود الذي يرد فيه الحياة الفضلى[2].

تعتبر الطبيعة من أغنى المصادر التي يطمئن إليها الشعراء كونها خلق إلهي فيه تظهر قدرة الخالق وروعة خلقه فبدر يحمل إحساسا عميقا اتجاه جمالها وسحرها فأغلب عناصرها اتخذها رمزا فلا يعاب ولا يلام على ذلك لأنه قضى حياته في أحضان الطبيعة بما فيها غابات النخيل، الأنهار، الشمس والقمر..الخ، فلا تكاد أشعاره تخلو من عناصرها لشدة التعلق بها « ويهدف من ورائها التوصل إلى أغراض جمّة دون أن يسيء إلى حيويتها أو أن يتدخل في حركيتها»[3].

---

[1]- عبد الرضا علي، الأسطورة في شعر السياب، ص 154.

[2]- ينظر: نفسه، ص 166.

[3]- عبد القادر داوود، البصرة ، بدر شاكر السياب، رائد الشعر الحر، ص 64.

لجأ بدر إلى رمز المطر ليرصد واقع بلده الذي كان تحت وطئة المستعمر الذي استنزف كل الخيرات تاركا أهل الأرض في جوع وحرمان ولم يتوقف الأمر عند المستعمر فقط بل هناك متورطون في هذه الجريمة وهم أبناء العراق فيقول في هذا واصفا إياهم :[1]

وفي العراق ألف أفعى تشرب الرحيق

من زهرة يربها الفرات بالندى

وأسرع الصدى يرن في الخليج

مطر

مطر

مطر

ويقصد الشاعر بألف أفعى تشرب الرحيق إلى الألف أسرة المتعاونة مع المستعمر الذي رمز له بالجراد والغربان التي تلهف الأخضر واليابس مستعينة بخونة الوطن الذي رمز لهم بألف أفعى فهؤلاء يمتصون خيرات البلاد فيشربون من كأسها حتى الثمالة بينما أهل العراق تجوع وتعرى، فبدر لا يكف عن ذكر المطر ومناجاته لدلالته القوية التي يحملها كما أنه يتفاءل بقدومه من أجل حياة هانئة خالية من الاضطراب فكرر لفظة المطر وضمنها رؤيته ورغبته في التغيير كما فيها دعوة صريحة لأبناء بلده أن لا يرضوا بالذل والهوان وأن يثوروا من أجل حياة كريمة فهو ينتظر الأفضل، فعبقرية بدر جعلت منه يحس استحياء وتشخيص الطبيعة وجعل منها « مأوى يحتمي به ويعود إليه لأن فيه براءة الطفولة وطهرها فمزج بينها وبين نفسه، وذلك ما جعله يلجأ إلى التغييرات القائمة على تشخيص عناصر

[1]– بدر شاكر السياب، ديوان أنشودة المطر، ص 149.

الطبيعة وبث الحياة الإنسانية في عروقها فأوصلها كما أبرزت ما فيها من قيم رمزية قادرة على تصوير أحاسيسه وانفعالاته»[1].

الطبيعة عالم مفتوح يحتضن أسرار عجيبة كما يحتضن بريق الإبداع والقرائح حيث تمثل المتنفس لما تكبته النفس الإنسانية وذلك عبر رموز يوظفها الشاعر خاصة التعبير عن وجدانه فيستنكه الرموز التي تحاكي تجاربه الحياتية فالطبيعة لا تزال منبعا لا يجف للكثير من الشعراء خاصة المعاصرين منهم .

2. الرموز التاريخية:

إن الشاعر المعاصر قد ألّم بالكثير من الروافد التي جعل منها مادة لكتاباته منها الروافد الطبيعية، والأسطورية ومنها التاريخية...الخ، فقصيدته « تأثرت بمحيطها الثقافي والتاريخي والاجتماعي... كما انفتحت على نماذج كتابية وتفاعلت مع اتجاهات فلسفية وأحداث تاريخية»[2].

فالتاريخ هو الآخر كان ملهما للشعراء فأغلبهم استندوا إليه وأخذوا ما يوافق طبيعة أفكارهم والقضايا والهموم التي يريدون نقلها إلى الملتقي سواء كان شخصيات تاريخية أو أحداث أو أماكن فكل شاعر يضمن قصائده ما يناسب قريحته وشعوره فيتفنن في مزجها في أواصر نظمه.

إن توظيف الرموز التاريخية شاع كثيرا خاصة عند شعراء العصر الحديث ويعود ذلك لكثرة الانكسارات المتتالية وخيبات الأمل التي أثقلت كاهل الإنسان المعاصر، فيلجأ بذلك إلى تاريخ أمته الحافل بالبطولات وإلى أسماء شخصيات تاريخية صنعت لنفسها رموزا خالدة ليعود إليها الإنسان وخاصة الشعراء منهم، فكلما أحسوا بالانكسار عادوا إليها من أجل

---

[1]- بثينة علي إبراهيم مرزوق، الأدب السياسي و الحداثة في الشعر العربي، ص 111.

[2]- حميد الشابي، الكائن و الممكن في قراءة الشعر العربي المعاصر، ص 17.

أن يشحنوا ذواتهم بالأمل في عصر أنهكته الصراعات والأزمات والهزائم، فبدر شاكر السياب من جملة هؤلاء الشعراء الذين وظفوا الرمز التاريخي واستعانوا به فقصائده تذكر من التاريخ شخصيات وأماكن كثيرة، فبدر وظّف شخصية تاريخية معروفة بقيت رمزا يحتذى به في التضحية والشجاعة والصبر فاتخذ منها رمزا ينيط له مهمة استنهاض الهمم لشعوب رضيت بالذل ويقصد بها أوضاع العراق وأبناءها الذين لم يحركوا ساكنا من أجل مصيرهم وجميلة تعتبر موقدة الثورة فهي « الفتاة التي جاهدت ضد الاستعمار الفرنسي وتعرضت لأبشع ألوان التعذيب على يد الاستعمار الفرنسي إبان الاحتلال الجزائري واستمر كفاح جميلة حتى النصر »[1].

وفي هذه القصيدة يبين بدر مدى ضرورة الاقتداء بهذه الشخصية من أجل شحذ العزيمة واستجماع الطاقة من أجل التضحية و التحريض على الثورة يقول: [2]

إن سنمضي في طريق الفناء

ولترفعي أوراس حتى السماء

حتى تروي من مسيل الدماء

أعراق كل الناس كل الصخور

حتى نمس الله

حتى نثور

---

[1]- بثينة علي إبراهيم مرزوق، الأدب السياسي و الحداثة في الشعر العربي، ص 177.

[2]- بدر شاكر السياب، ديوان أنشودة المطر، ص 70.

عكس بدر في هذا المقطع أن جميلة بوحيرد كانت خير مثال للنضال والصمود فمصير الشعب وحريته يتحقق بتضحيتهم كما « يؤمن بيوم ثورة الإنسان المؤمن بقضيته ويشير إلى جبال أوراس الجزائر أنها سترفع قيمتها حتى السماء كناية عن الشموخ بعد النصر»[1]، فالإيمان بالقضية و الشعور بالمسؤولية اتجاه البلد الحبيب يولد طاقات الغضب من أجل تقرير المصير والثورة على المستعمر الطاغي حظيت الشخصيات التاريخية بنصيب وافر من عمليات الاستدعاء والاستحضار فبدر جعل من جميلة رمزا تاريخيا بامتياز يعبر به عن موقفه من الحاضر المملوء بالانكسارات عكس ما صنعته جميلة بوحيرد من انتصار « فأصبحت جميلة انتصار و فخر للفتاة العربية وسجل التاريخ جهادها في أنصع صفحاته»[2]، حملت جميلة كل ألوان الأمل في ولادة الثورة، كما رمزت إلى النضال والتصدي ثم صوّر بدر كيف أن الشعب يحب جميلة و يهتف باسمها كبارا كانوا أو صغارا حيث يقول: [3]

من أجل طفل ضاحكته السماء

فرحان في أرضه

أحسسته يحبو على راحت

يهتف يا جميلة

يا أختي الفضيلة

يا أختي النبيلة

---

[1]- بثينة علي إبراهيم مرزوق، الأدب السياسي و الحداثة في الشعر العربي، ص 178.

[2]- نفسه، ص 177.

[3]- بدر شاكر السياب، ديوان أنشودة المطر، ص 68.

تعلو بك الآلام فوق التراب

إن هذه المرأة تعدّ مفخرة للجزائر خاصة و الأمة العربية جمعا لما قدماه لوطنها وفي هذا المقطع يهتف طفل صغير باسمها ويناجها لأنها تمثل الأخت النبيلة .

تشكل الشخصيات التاريخية ذات الأثر الفاعل أهمية كبيرة لخيال الشاعر لما تمنحه من دلالات وإيحاءات فانفتح بذلك القول الشعري على أفق جديدة منها استخدام كلمات مشحونة بطاقة رمزية عالية مستمدة الأصول من روح متطلعة لغد أفضل مستندة إلى رموز أسطورية وأخرى تاريخية، حيث تحمل بذاتها الموضوعية معاني التجدد ودلالات من التجدد في مستوى الواقع[1].

فإن الهدف الأسمى للجوء الشعراء المعاصرين لتوظيف الرموز التاريخية والاستعانة بها هو تصوير وإبراز أمجاد الماضي وانتصاراته وتألقه وفضح فساد الحاضر وهزائمه.

3. الرموز الدينية في شعر السياب:

وظف السياب مجموعة من الرموز والإشارات المستقاة من القرآن الكريم ومن هذه الرموز الدينية، نذكر رموز الأنبياء والرسل فهي الأكثر استعمالا في شعر السياب والأكثر شيوعا في شعرنا المعاصر لوجود روابط بين تجربة الأنبياء وتجربة الشاعر وكل منهما يتحمل العذاب في سبيل رسالته والفرق بينهما أن رسالة الأنبياء رسالة سماوية .

[1]- ينظر: ماجد السمرائي، بدر شاكر السياب، شاعر عصر التجديد الشعري، مركز دراسات الوحدة العربية، بيروت، ط1، 2012، ص 31.

ومن الصور الإسلامية التي نستدل بها نذكر استخدام السياب لشخصية النبي محمد صلى الله عليه وسلم في قصيدته " المغرب العربي" يقول: [1]

كمدينة تردد فوقها اسم الله

وخط اسمُ له فيها له فيها

وكان محمد نقشا على أجرة خضراء

يزهو في أعاليها...

فأمس تأكل الغبراء

والنيران، من معناه،

ويركله الغزاة بلا حذاء

بلا قدم

وتنزف منه، دون دم

جراح، دونما ألم

فقد مات

ومتنا فيه، من موتى ومن أحياء؟

فنحن جميعا أموات

وأنا ومحمد والله

[1]- بدر شاكر السياب، أنشودة المطر، ص 76.

فشخصية الرسول محمد صلى الله عليه وسلم تحمل الكثير من الدلالات أبرزها استخدام محمد صلى الله عليه وسلم رمزا شاملا للإنسان العربي سواء في انتصاره أو في عذابه.

ونستشف من هذا أن الإسلام كان محطة رئيسية في حياة الشاعر وفكره ولأنه وظف شخصية نبينا محمد صلى الله عليه وسلم التي تدل على التزام الشاعر بالقيم والمعالم الإسلامية والاتخاذ منها رموز في معالجته لقضايا الإنسان العربي عموما والتعبير عن معاناته الذاتية خصوصا، إذ نجد السياب في مرحلة المرض قد استعان برمز ديني آخر وهو النبي (أيوب) « على أن المرض ربط بينه ـ ربط تطابق ـ وبين أيوب، ويمثل استدعاؤه لصورة أيوب نهاية المرحلة التي بلغها في حمى "الروحية" ولعله لولا المرض لم يبلغها، ولكن المرض هو الذي منح شكلا مثاليا للعلاقة بين الإنسان والإله، فأيوب يمثل فلسفة الاستسلام والرضا من جانب الإنسان»[1]، فأيوب هو نموذج ديني استمده الشاعر من القرآن الكريم كرمز للصلابة في حمل عذاب المرض والثقة بالله والصبر مهما اشتدت الكربات ولجوء السياب لهذا الرمز يدل على ملائمته لأحزانه ويظهر ذلك في قصيدته "سفر أيوب" و"قالوا لأيوب" ونجده يتمثل اتحاده مع (أيوب) والأمل في الشفاء يقول في قصيدة " قالوا لأيوب":[2]

يا رب لا شكوى ولا من عتاب

ألست أنت صانع الجسما

فمن يلوم الزارع النما

من حوله الزرع، تشاء الخراب

---

[1]- إحسان عباس، بدر شاكر السياب دراسة في حياته و شعره، ص 275.

[2]- بدر شاكر السياب، منزل الأقنان، ص 114.

لزهرة والماء الثانية

هيهات تشكو نفسي الراضية

أني لا درى أن يوم الشفاء

يلمح في الغيب

سينزع الأحزان من قلبي

وينزع الداء، فأرمي الدواء...

فبعد أن كان السياب يشكو حاله إل الله وهو غير راض نجده في هذه القطعة من القصيدة يستدرك الرضا بقضاء الله والأمل في الشفاء من مرضه.

ويقول أيضا في قصيدته " سفر أيوب":[1]

لك الحمد مهما استطال البلاء

ومهما استبد الألم

لك الحمد إن الرزايا عطاء

وإن المصيبات بعض الكرم

إلى أن يقول: [2]

ولكن أيوب إن صاح ـ صاح

لك الحمد ـ إن الرزايا ندى

---

[1]- بدر شاكر السياب، منزل الأقنان، ص 36.

[2]- نفسه، ص 37.

ونجح السياب في توظيفه لهذا الرمز الديني « فنبرة الحمد على البلاء وتحوّل المصيبة إلى عطاء والاستسلام القدري الكامل والتوجه إلى الله بما يشبه فناء المحب في المحبوب هي نبرة أيّوبية خالصة إلى أبعد حد، وهي تنتمي إلى "أيوب" بقدر ما تنتمي إلى الشاعر، فلا تدري هل ينطق الشاعر من خلال الرمز أم يتكلم الرمز بلسان الشاعر، وتلك أقصى غايات التفاعل بين صورة الرمز ومضمونه إذا صحّ التعبير»[1]، كما أن السياب استعار من الكتب المقدسة أسماء شخصيات عديدة مثل قابيل وهابيل وآدم وعيسى عليه السلام ومحمد صلى الله عليه وسلم والقديس يوحنا ويهوذا والعازر ... فنجده يستعين بالسيّد المسيح عليه السلام كرمز للألم الجسدي والمعاناة.

فنجده يلبس قناعه ويقول على لسانه: [2]

بعدما أنزلوني، سمعت الرياح

في نواح طويل تسف النخيل،

والخطى وهي تنأى . إذن فالجراح

والصليب الذي سمّروني عليه طوال الأصيل

لم تمتن.وانصتُ: كان العويل

فمزج السياب معاناته الذاتية مع تجربة المسيح الذي تعرّض للصلب والعذاب الجسدي مخفيا صوته وراء قناع المسيح لأن عذاب السياب كان على أيدي البشر، وكذلك عذاب السياب وعذاب الإنسان المعاصر كان على أيدي البشر.

---

[1]- محمد فتوح أحمد، الرمز و الرمزية في الشعر المعاصر، ص 302.

[2]- بدر شاكر السياب، أنشودة المطر، المسيح بعد الصلب، ص 128.

وهكذا كانت أكثر الأسماء والرموز الدينية في هذه المرحلة تنطبق على السياب وتلائم ذاته وفرديته، أما الجانب الاجتماعي فقد توارى لانعدام الحاجة إليه.

4. الرموز الأسطورية في شعر السياب:

وظف السياب الأسطورة كما لم يوظفها أي شاعر آخر فنجده التمس في قصائده حشدا هائلا من الأساطير اليونانية والبابلية وحتى من التراث العربي القديم، وكما نعلم أن الأسطورة من المصطلحات الغامضة التي يصعب تحديد مفهوم محدّد لها بل كثيرا ما تتضارب حولها الآراء التي تشكل خلافا جوهريا بين الباحثين والمختصين « فالأسطورة ستبقى مادة خصبة للخلاف، باعتبارها فن الإنسان البدائي، الذي هو مزيج من السحر والدين والتاريخ والتأمل والعلم، صبغ بأسلوب خيالي تتبدى فيه الأحداث كأنها أحلام طفولية في عصور خرافية »[1]، ولهذا لم يجمع المتخصصون على تعريف لها لتداخلها مع عدة مجالات الفكر والفلسفة والعلم والتاريخ...

و للحديث عن انتقال الأساطير من عالم الإنسان البدائي إلى عالم الأدب المعاصر وخصوصا صياغة الشعر وبنائه، تجدر الإشارة إلى كتاب (الغصن الذهبي) لمؤلفه (James FREZER) "جيمس فريزر"، والذي يعدّ مصدرا لا ينضب الأساطير في أدب القرن العشرين إذ راح الأدباء العرب والغرب ينكبون على مطالعته والنهل من عطائه البدائي السحريّ لما يحمله من عوالم الإنسان البدائي التي يحلمون بها، ففتح لهم آفاق رحبة فراحوا يحاكون طقوس الجذب والنماء والتضحية، وكان هذا الكتاب أكثر تأثيرا على الشاعر الإنجليزي "ت. س إليوت" (T.S ELIOT) حيث أشار إلى هذا الكتاب ـ الغصن الذهبي ـ كمؤثر هام في كتابته لقصيدته المعروفة بـ: "الأرض الخراب" [2]، وللحديث أيضا عن انتقال

---

[1]- عبد الرضا علي، الأسطورة في شعر السياب، ص 18.

[2] - ينظر: نفسه، ص 20.

الأساطير إلى الشعر العربي المعاصر لابدّ من التأكيد هنا أن « الكتّاب الغربيين هم الذين أوحوا إلى كتّابنا وشعرائنا بالعودة إلى عالم الأساطير سواء رضوا أم رفضوا لأن الدلائل كلها تشير إلى استخدام الشعراء العرب و توظيفهم للأسطورة جاء نتيجة تأثرهم الواضح و المباشر بالكتّاب الغربيين على الرغم من أن هذا التأثر لم يأت إلا متأخرًا »[1]، والسياب أحد هؤلاء المتأثرين بأدباء الرمزية في الغرب عموما وبالشعر الإنجليزي خصوصا إذ تأثر بالشاعر ت.س إليوت و خصوصا قصيدته " أرض الخراب" فراح يكتب على منوالها من حيث الشكل والمضمون فنجده يحاكي تجربة إليوت في أنشودة المطر القصيدة التي أكسبت السياب شهرة وأصبح يعرف بها، تمثل فيها المنهج الأسطوري .

وما يميّز الرموز الأسطورية عند السياب إضفاء طاقات إيحائية في قصائده لأنه استطاع أن يوظّف الأسطورة بكل براعة لأنه دخل إلى الأسطورة دخولا واعيا ففي هذه المرحلة الرمزية أو كما يصطلح عليها أغلب الدارسين بالمرحلة التموزية أو الأسطورية، تجاوز السياب فيها الرومانسية والواقعية وانتقل إلى استخدام الأسطورة والرمز في شعره ففي المراحل السابقة كان الموت حادثة والجوع ظاهرة، تحوّل في هذه المرحلة الموت إلى أسطورة ممثلة بتموز والمسيح.

ويرى " محمد فتوح" أن الرمز الأسطوري عند السياب قد مرّ بمرحلتين الأولى يسميها الأسطورة الموضوعية لاستيعابها مضامين واقعية وقومية وكانت الأساطير الرئيسية في هذه المرحلة بابلية وتحكي قصة الإله " تموز" وقد صرعه خنزير بري، وهو يموت مرة في كل عام هابطا إلى العالم السفلي المظلم، وبغيابه تختفي حبيبته "عشتار" ربة الطاقات الخصيبة في العالم وكان مغزى هذه الأسطورة أن البعث لا يتم إلا من خلال التضحية وأن

[1]- عبد الرضا علي، الأسطورة في شعر السياب،ص 21.

الحياة لا تنبثق إلا من خلال الفداء[1]، ونقل السياب هذا المغزى وهذه الكتلة الرمزية إلى عالم الإنسان المعاصر الذي لا ينتصر على قوى الشر والتخلف إلا بالفداء والشهادة.

ويتمثل السياب "أسطورة تموز" في قصيدته "تموز جيكور" ونستدل منها بهذا المقطع من القصيدة: [2]

ناب الخنزير يشق يدي

ويغوص لظاه إلى كبدي

ودمي يتدفق، ينساب،

لم يغد شقائق أو قمحا

لكن ملحا

عشتار.. وتخفق أثواب

وترف خيالي أعشاب

من نعل يخنق كالبرق

كالبرق الخلب ينساب

لو يومض في عرقي

نور فيضيء لي الدنيا

لو أنهض ! لو أحيا !

---

[1]- ينظر: محمد فتوح أحمد، الرمز و الرمزية في الشعر المعاصر، ص 292.

[2]- بدر شاكر السياب، أنشودة المطر، ص88، 89.

لو أسقى ب آه لو أسقى !

لو أن عروقي أعناب

وتقبل روحي عشتار

فكان على فهمها ظلمة

تنتال على و تنطبق

فيموت بعيني الألق

أنا والعتمة

ففي هذه القطعة من القصيدة يصور الشاعر نفسه أنه (تموز) وأن الخنزير البري يقتله فيتدفق دمه وخُيّل له أن جيكور ستولد من جرحه ووظف أيضا (عشتار) كأداة أسطورية وهي إله الحب والخصب التي ترافق (تموز) في رحلة البعث ويحيا بدموعها مرة أخرى لكن السياب ليس لديه أم أو حبيبة ليعود إلى الحياة بل يبقى وحيدا في ظلام القبر دون أن ينبت دمه شقائقا أو قمحا وعموما « القصيدة ثلاث خطوات الخطوة الأولى: تضمين لأسطورة تموز القديمة وانتحال الشاعر لموقف تموز الخطوة الثانية: ولادة جيكور من جراح تموز القتيل الخطوة الثالثة: رفض لهذا الميلاد لأن جيكور لا تعيش دون أن يحيا تموزها وهو لن يحيا حقا فالموت هو نهاية الاثنين، وبذلك تغيرت أسطورة تموز القديمة لأن البعث غير متيسر »[1].

وهكذا أحدث السياب شرخا فلجأ إلى تحطيم الإطار المعروف للأسطورة بما يتواءم مع محتواها الجديد وهو واقع الشاعر الذي انتصرت فيه قوى الشرّ والظلم رغم تضحياته

[1]- إحسان عباس، بدر شاكر السياب دراسة في حياته و شعره، ص 239.

وكفاحه فدم (تموز) أصبح ملكا ولم يتحول إلى شقائق كما تحكى الأسطورة القديمة، ولم تعد (عشتار) قادرة على تجديد الشباب للوجود بل من تقبله تميت فيه البعث المنشود.

وكل هذا يرمز به السياب إلى قوى الشر الطاغية التي تظل ظلاما أبديا يحجب عن عيني الشاعر نور الحياة ويرى معاناته تتسع أكثر من معاناة (تموز) الأسطورة، ومن النماذج التي استخدم فيها السياب الأسطورة قصيدته " المومس العمياء" يقول فيها: [1]

وتفتحت كأزهار الدفلى، مصابيح الطريق

كعيون ميدوزا، تحجر كل قلب بالضغينة

كأنها نذر تبشر أهل بابل بالحريق

يعيد الشاعر سيرة أسطورة (ميدوزا) وكثيرا ما يكرر هذا الاسم في هذه القصيدة وأسماء أسطورية أخرى و(ميدوزا) في الأسطورة اليونانية تحول من ينظر إليها إلى حجر بعد أن تحجرت عيناها وأصبحت نذرا لأهل بابل بالحريق والخراب وأراد السياب من خلالها أن يرمز إلى تحجر القلب وامتلائه بالحقد والضغينة جرّاء الواقع الاجتماعي والسياسي في العراق، كما وأنه حشد الكثير من الأسماء الأسطورية في هذه القصيدة مثل(أوديب) الذي تزوّج أمه من دون أن يدري، و(أفروديت) و(هلين) و(فاوست).

ففي هذه المرحلة ارتبط الرمز الأسطوري بتجربة موضوعية قومية أو حضارية أما في مرحلة الأسطورة الذاتية أصبحت الأسطورة مرتبطة بحياة السياب لاسيما قبل وفاته في نهاية 1964 وعلى مدى أربعة أعوام كانت تجربته من أقسى تجارب الشعر العربي المعاصر لتظافر المرض والغربة والحرمان فنزع في هذه المرحلة إلى الألم الذاتي والشكوى المباشرة فلا تكاد تخلو هذه المرحلة من رموز أسطورية التي تختلف دلالاتها و وظائفها على

[1]- بدر شاكر السياب، أنشودة المطر، ص 173.

المرحلة السابقة[1] ، فباختلاف نوع التجربة خلال المرحلتين تختلف أيضا الأطر الفنية التي تصاغ فيها الرموز والأساطير فنجد السياب في هذه المرحلة يجنح إلى نماذج أسطورية غير (تموز) و(عشتار) و(آنيس) و(أدونيس) « فإن الرموز المفضلة لدى الشاعر في ديوانيه اللاحقين: " المعبد الغريق"، " منزل الأقنان"، هي: " أوليس"، أو " أوديسيوس" بطل الأودية الذي ظلّ طريقة إلى وطنه وهو في عرض البحر وتتردد تلك الأسطورة في قصائد: " شباك وفيقة" و" المعبد الغريق"، و" الوصية"، وسر صلاحيتها للتعبير عن تلك المرحلة هو ما يربط بين " أوديسيوس" والشاعر من عذاب الغربة المشتركة: الأول فوق ظهر سفينته والثاني في داخل مستشفيات لندن وبيروت والكويت »[2] ومن الشخصيات الأسطورية التي وظفها السياب في هذه المرحلة شخصية السندباد البحري الذي كان واحدا من أبرز رموز التجوال في مرحلة المرض، وكان السندباد بمثابة الإطار العام لقصيدة "رحل النهار" وقصائد أخرى في مرحلة المرض مثل " أفياء جيكور" و" الوصية" و" الليلة الأخيرة" ونذكر أن السياب لم يكتف بأسطورة السندباد في هذه القصائد بل راح يدفعه إحساسه بالضياع إلى كتابة قصيدة كاملة بعنوان " رحل النهار" يقول: [3]

هو لن يعود

أو ما علمه بأن أسرته آلهة البحار

في قلعة سوداء في جزر من الدم و المحار

هو لن يعود

رحل النهار

---

[1]- ينظر: محمد فتوح أحمد، الرمز و الرمزية في الشعر المعاصر، ص 200.

[2]- نفسه، ص 200، 201.

[3]- بدر شاكر السياب، منزل الأقنان، ص 5، 6.

فلترحلي، هو لن يعود

ويلاحظ الدارسون أن القصيدة من أنجح الصور التي استغلت أسطورة (السندباد) وما جمعه بهذا الرمز الأسطوري هو التجوال الدائم لاسيما في رحلته طالبا الشفاء، كما أن القصيدة انفتحت على رمز (عوليس)، إلى جانب (السندباد) وكلاهما رمزان للتجوال والمعاناة ويعبران عن واقع الشاعر[1].

وهكذا نجد السياب استعمل رموزا في أساطير متنوعة في أصولها ومتعددة المنابع يرمز من خلالها إلى واقعه المعاش المليء بالمعاناة والتي لا تستطيع أن تتجسد تعبيرا إلا بالاستناد إلى الأساطير التي تحوي واقع مجتمعه وبالخصوص واقعه النفسي خلال مرحلة المرض، الأمر الذي يستدعي من قارئ قصائده العودة إلى حياته المليئة بالتجارب من جهة وعلى الاطلاع على عالم الأساطير من جهة من أجل تحقيق الفهم والتأويل.

ب- دوافع توظيف السياب للرمز والأسطورة:

إن الرمز والأسطورة من العناصر التي كثر توظيفها في الشعر المعاصر لما يحملانه من إيحاءات ودلالات من أجل استكمال ما يعجز اللسان والكلمات عن البوح بها فالرمز والأسطورة هما اللغة التي تبدأ حين تنتهي لغة القصيدة فالرمز والأسطورة يعكسان ما يخفيه الشاعر في قرارة نفسه يقول بدر « هناك مظهر مهم من مظاهر الشعر الحديث: هو اللجوء إلى الخرافة والأسطورة إلى الرموز، ولم تكن الحاجة إلى الرمز إلى الأسطورة أمس مما هي اليوم، فنحن نعيش في عالم لا شعر فيه، أعني أن القيم التي تسوده قيم لا شعرية والكلمة العليا فيه المادة لا الروح »[2] ، فلا ضير أن اللجوء إلى هذين الخاصيتين هو من

---

[1]- ينظر: ميساء زهدي الخواجا، تلقي النقد العربي الحديث للأسطورة في شعر بدر شاكر السياب، الدار البيضاء، بيروت، ط1، 2009، ص 253.

[2]- بدر شاكر السياب، ديوان، مج1، ص 84، 85.

أجل دوافع كامنة في نفس الشاعر وللضرورة لا يحس بها إلا هو فيكمل بدر بقوله «فالتعبير المباشر عن اللاشعور لن يكون شعرا فماذا يفعل الشاعر إذن؟ عاد إلى الأساطير إلى الخرافات التي ما تزال تحتفظ بحرارتها لأنها ليست جزءا من هذا العالم، عاد إليها ليستعملها رمزا، وليبني منها عوالم يتحدى بها منطق الذهب والحديد»[1]، فبدر استند إلى مجموعة من الرموز والأساطير لضرورة ألحت عليها « فعندما يتعامل الشعر مع الرمز والأسطورة فإنه يتعامل معهما على أساس التجربة الشعرية»[2].

تلونت حياة بدر منذ الطفولة حتى آخر حياته بدءا من يتمه المبكر وضياعه بين الحسناوات اللائي لم يعبأن به لدمامة طلعته ثم تجربته مع واقع العراق المتأزم إثر الاستعمار وصولا إلى مرضه وانهيار قواه فكل مرحلة تركت بصمة واضحة في شعره فنشهد في قصائده كثرة توظيف الرموز والأساطير حسب ما تقضيه تجربته وأحاسيسه لتكون دافعا قويا في توجيهه لانتقاء واختيار أقرب رمز وأسطورة « فيستغل ما فيهما من علاقات وأبعاد قديمة يضيف إليهما أبعاد جديدة هي من كشفه الخاص ويوجد ما بين المضمون القديم في الرمز والأسطورة وما بين الرؤية الفكرية أو الشعرية بما تشتمل عليه من مضمون عاطفي أو وجداني، أو عقلي أو عناصر ذاتية تشكل التجربة الشعرية الخاصة والسياق التعبيري الخاص»[3] .

ومن أبرز الدوافع التي ألحّ عليها السياب أن يكون له معجما رمزيا وأسطوريا خاصا به،أهمها دوافع سياسية، اجتماعية، ثقافية ونفسية.

1.الدوافع السياسية والاجتماعية في شعر السياب:

---

[1]- بدر شاكر السياب، ديوان، ص 85.

[2]- أحمد أبو حاقة، الالتزام في الشعر العربي، ص 381.

[3]- نفسه، ص 381.

اتخذ بدر من الرمز والأسطورة مأوى وقناع يتخفى وراءه ذلك لأسباب منها تأزم الأوضاع السياسية والاجتماعية، فكان سلاح الشاعر رمزه الذي يعبر عن مشاعره الدفاقة، وظلم أبناء مجتمعه، بحيث يمرر أفكاره المتمردة الثائرة ضد المستعمر الطاغي المستبد الذي سلب الحرية من أصحابها وجعلهم مشتتين ضائعين في جنان أرضهم، فلا سبيل للتصريح على أوضاعه المتردية إلا عبر التخفي وراء الأسطورة والرمز وجعل منها سبيلا في إيصال أغراضه السياسية حيث قال بدر« كان الدافع السياسي أول ما دفعني إلى ذلك فحين أردت مقاومة الحكم الملكي السعيدي بالشعر اتخذت من الأساطير التي ما كان زبانيتة نوري السعيد ليفهموها ستارا لأغراضي تلك، كما أني استعملتها للغرض ذاته في عمد قاسم»[1]، فالأنظمة الديكتاتورية التي تكمم أفواه معارضيها جعلت من الشعراء يلجأون وراء أقنعة منها الرمز والأسطورة فيتخفوا ليمرروا أفكارهم واجتنابا للبطش والظلم والتعرض للملاحقة والأذى، ولعلّ بدر أكثر الشعراء استعارة لهما لأن الواقع السياسي للعراق كان متأزما « والمعروف أن العراق في تاريخه القريب كان قد عرف صراعات مريرة من الإنجليز ابتداء من عام 1916 وقامت ثورات متعددة»[2]، تحتّم على بدر اللجوء إلى هذا النوع من الكتابة كغيره من الشعراء بل حتى أنه فاق الكثيرين في رصد وتصوير الواقع السياسي المضطهد والحكام المستبدين فنجده في قصيدة له بعنوان "سربروس في بابل" حيث يقول: [3]

ليعوا سربروس في الدروب

في بابل الحزينة المهدمة

ويملأ الفضاء زمزمة

---

[1]- عبد الرضا علي، الأسطورة في شعر السياب، ص 105.

[2]- سالم المعوش، بدر شاكر السياب، ص 66.

[3]- بدر شاكر السياب، أنشودة المطر، ص 151.

يمزق الصغار بالنيوب ويقضم العظام

ويشرب القلوب

يهجو بدر في هذا المقطع الحاكم قاسم حيث يشبهه بسربروس الذي يمثل في الأساطير الإغريقية ، « حارس العالم السفلي وهو كلب له ثلاثة رؤوس أو خمسون ماعزة على الدوام يسيل منها سم زعاف و ينتهي جسمه بذيل تنين أما شعر جسمه فثعابين تسعى وتتلوى»[1]، فأسقط صفات هذا الكلب المتوحش على قاسم الذي يمثل كل أنواع البطش والعنف واللاإنسانية، فهو يمزّق الصغار دون رحمة ولا رأفة بأنيابه الحادة، كما يقضم العظام ويكسرها ويشرب القلوب دون شفقة، كما رمز للعراق ببابل المهدمة إثر صنيع سربروس بها وجعلها بؤرة دمار وخراب وشتت أولادها ونكّلهم أشدّ تنكيل، فهذه القصيدة تعتمد على أسطورة سربروس رمزا لقاسم و صفاته فيقول بدر:« هجوت قاسما و نظامه أبشع هجاء دون أن يفطن زبانيته إلى ذلك»[2]، فبدر لبس قناع وتخفى وراء الرموز والأساطير لأنها لبّت حاجاته السياسية وكذلك الاجتماعية حين عبّر عن خوف وجوع أبناء العراق فكان هو لسانهم الناطق عن الحرمان وانتشار الفوضى في مجتمعه أثناء احتلال العراق « فقد وجد السياب في الأسطورة الطاقة الرمزية التي تعينه على تحقيق ما يوّد قوله»[3]، فالرمز كان بمثابة متنفس السياب للتعبير عن مواقفه السياسية وآلامه المكظومة فهو يمثل كذلك الحقيقة التامة المطابقة بين الذات والموضوع .[4]

وهكذا فالواقع السياسي والاجتماعي من أبرز الدوافع التي فرضت على بدر أن يتخذ الرمز والأسطورة عالمه المفضّل الذي يعني تجربته الشعرية ويفصح عنها بأرقى الأساليب

---

[1]- بثينة علي إبراهيم مرزوق، الأدب السياسي و الحداثة في الشعر العربي، ص 92.

[2]- سالم المعوش، بدر شاكر السياب، ص 323.

[3]- عبد الرضا علي، الأسطورة في شعر السياب، ص 104.

[4]- ينظر نفسه، ص 104.

لاستثارة المتلقي من جهة ومن أجل الوقوف على ما يضيق به صدره من الواقع الذي يتعايش معه.

1. الدوافع الثقافية في شعر السياب:

إن الثقافة ضرورة حياتية كما أنها عماد لبناء شخصية الإنسان وتكوينه وتأهيله للتقدم الفكري والتواصل الاجتماعي وتنمية لغته وأسلوبه وتوسيع معارفه ليصلوا إلى تحقيق التفرد والارتقاء ويصنعوا لأنفسهم عالما متفتحا قابلا لكل التغيرات ولعلّ الشاعر هو أحوج مخلوق إلى تنمية ثقافته الفكرية ليعكسها في تجربته الشعرية، فالشاعر يمارس فنًا حساسًا يقتضي قدرة ومهارة وإلى مكونات فكرية وثقافية كبيرة ونذكر في هذا الصدد بدر الذي ساهمت عوامل عدة في إثراء ثقافته وبلورتها منها تنشئته الريفية، فحتى الطبيعة الجيكورية الخلابة لها الفضل في صقل موهبته تعرف من معينها الثقافي البسيط ومنه حفظه للقرآن الكريم والحكايات الشعبية التي كان جدّه يسردها عليه من قصص الأبطال والخرافات حتى أنه اعتمد بعضا منها في شعره لقدرته على تذكر أيام الصبا ولمدى استعابه لها، إذ جعلها تتدفق بالدلالات في عصر صار فيه كهلا « وقد استغل السياب قصصا من الحكايات الشعبية عن طريق الإشارة إليها و الاقتباس منها أو تلخيصها أو إعادة عرضها عرضا يتناسب مع مراميه»[1]، كما يعدّ بدر أكثر شعراء جيله تطلعا للتراث العربي وأكثر تقديرا له حيث أنه كان يحترم تجارب كبار الشعراء العصر الجاهلي والعصر العباسي، كما كثّف قراءاته للشعراء أمثال المتنبي والبحتري وكان يحفظ الشعر الذي أورده ابن قتيبة في كتابه " الشعر والشعراء" وتأثر بأبي تمام أيما تأثر ونشهد ذلك في قصيدة لبدر بعنوان " بور سعيد" :[2]

هاويك أعلى من الطاغوت فانتصبي ما ذل غير الصفا للنار والخشب

---

[1]- عبد الرضا علي، الأسطورة في شعر السياب، ص 72، 73.

[2]- بدر شاكر السياب، ديوان أنشودة المطر، ص 164.

وقال أبو تمام: [1]

لقد تركت أمين المؤمنين بها للنار بما ذليل للصخر والخشب

فاستمد بدر الصورة الشعرية في وصفه لبور سعيد من خلال تأثره بأبيات أبو تمام حين رسم صورة أمير المؤمنين كما تأثر بابن الرومي فقال في رسالة إلى صديقه خالد الشواف «أين لنا بشاعر كابن الرومي»[2]، كما أنه قد قرأ أثناء دراسته لمجموعة من الشعراء العرب في العصر الحديث أمثال « إلياس أبي شبكة وعلي محمود طه، ولقد تأثر بدر بهذين الشاعرين تأثيرا كبيرا وكان إن كتب قصيدته " بين الروح والجسد" في ظل هذا التأثر... وكان شديد الاهتمام بالأدب العربي الحديث يتابعه بحرص وعناية»[3]، كما أن مكتبة دار المعلمين ببغداد هيأت له فرصة الاطلاع على مختلف الكتب كما لا نغفل على ذكر سعيه على الينابيع الفكرية والفلسفية فتعرّف على الماركسية وقرأ مجموعة من الكتب المتوفرة في الأسواق والكتب التي يوفرها الحزب، فبدر درس في الكلية في قسم اللغة العربية ثمّ تحوّل إلى قسم الإنجليزية فحاول أن يوسع معلوماته في هذا الأدب وأخذ يطالع لـ (SHEKSPIR) شكسبير و بايرون و وردزويرت و شيلي و كيتس و تأثر بالكثير من الشعراء الغربيين وأُعجب بهم فقال «أُعجبت بالشعر الغربي وأخذت في مجاراته»[4]، فدخل بدر عالما أكثر تفتحا، عالم الأدباء والشعراء الغربيين وأخذ يطوّر معرفته وتجربته الشعرية ومن أبرز الشعراء تأثرا بهم «وكان هذا التأثر موضوعيا و فنيا... والأسلوب لاسيما في قصيدة "الأرض الخراب"»[5]، وكانت لهذه القصيدة الأثر الكبير في تجربة السياب الشعرية حيث شهد

---

[1]- بثينة علي إبراهيم مرزوق، الأدب السياسي و الحداثة في الشعر العربي، ص 72.

[2]- نفسه ، ص 69.

[3]- بدر شاكر السياب، الديوان، مج1،ص 26.

[4]- سالم المعوش، بدر شاكر السياب، ص 281، 282.

[5]- عبد اللطيف أطميش، بدر شاكر السياب ـ في أيامه الأخيرة ـ ص 34.

الدارسون قوة تأثير هذه القصيدة على بدر « ويرى هؤلاء وجوه التأثير تنحصر في قصيدة "أنشودة المطر" المشابهة لقصيدة " الأرض الخراب" لإيليوت على أساس أن القصيدتين تبتدئان بمسحة الحزن والأسى والموت وأن المطر يبقى فيهما رمزا للانبعاث والأم المساوية في مفهومها الأرض ... وقد حسب ... "الأرض الخراب" هي الأساس الذي استقى السياب منه رموز قصيدته العظيمة " أنشودة المطر"»[1] فإن بدر استقى منها مفاتيح ورموز توافق إحساسه ودواخله ليخلص إلى قصيدة على نهجها « فإليوت واضع البصمات على شعر السياب، سواء كان ذلك في رموزه، أم كان في صوره، حيث ظلّت " الأرض الخراب" تشكّل إحدى مصادر السياب الأسطورية بالإضافة إلى غيرها مما أعجب به»[2].

بعد اطلاع بدر على الآداب الإنجليزية لاسيما على شعر إليوت جعل من فكره يستلهم إلى أبعد الحدود حتى أنه تأثر بسيتويل وسماها الشاعرة العظيمة حيث كان تأثيرها واضحا جليا في شعره حتى أنه حاول محاكاتها في « تصوير حالة الرعب والدمار التي تصيب الإنسانية من جراء سادة عالم الحديد والحرب»[3].

فقسم اللغة الإنجليزية ساعده في ترجمة الكثير من الآثار الشعرية الغربية ولشدة تأثره بإديث سيتويل ترجم لها ثلاث قصائد «تحت القصائد حملت العناوين التالية "بيكانية الشروق الجديد" و"ظل قابيل" " أنشودة الوردة"»[4].

كذلك وقوعه تحت تأثيرها بسبب شعرها المتضمن للأساطير الدينية ومن استخلاصه للصور والاقتباسات التي طبقت شعره بالدلالات الأسطورية الموحية التي جعلت من بناء

---

[1]- سالم المعوش، بدر شاكر السياب، 351، 352.

[2]- عبد الرضا علي، الأسطورة في شعر السياب، ص 72.

[3]- نفسه، ص 72.

[4]- سالم المعوش، بدر شاكر السياب، ص 349.

قصيدته قائمة على التدفق والإيحاء[1]، ونشهد تأثرا آخرا لبدر في إحدى قصائده المعروفة «المومس العمياء" التي تأثر فيها بشيلي في موضوع " البغاء" لاسيما في قصيدته " الملكة ماب"»[2]، كما قرأ بدر الأدب الفرنسي وتطلّع عليه عن طريق الشعر والترجمة «كان قد تعرف من خلال المترجمات إلى الشاعر بودلير فقرأ شيئا من قصائده " أزهار الشر" وشيئا من سيرة الشاعر نفسه»[3].

تلهف الشاعر في التوسع في معرفة اللغة الأجنبية أو ثقافتها ونهل الكم الهائل من معارفها وأدبها وأشعارها ونجد ذلك في آثاره الشعرية لاسيما في ديوانه " قيتارة الريح" فأربعة منها قد أهديت إلى روح الشاعر الإنجليزي " وورد زورث" وهذا دليل على أن بدر يستقي من الثقافة الإنجليزية وينهل منها وهذا جليّ في أسلوبه وصوره الشعرية في قصائد كثيرة [4].

إن القدرة الثقافية لبدر جعلت منه شاعرا متفطنا فاستعاب بجدارته الكم المعرفي منها واستطاع أن يستنبط ما يثري تجربته الشعرية فاستمد مقومات عمله الشعري من رموز وأساطير مختلفة عربية وغربية، دينية وتاريخية...الخ ومزجها مع تجربته وعصره فلم يكتف بموهبته في الإبداع بل تجاوزها حيث قال: « لقد مضى الزمن الذي لم تكن فيه الثقافة ضرورية للشاعر لكي يصبح مجيدا، فالموهبة وحدها لم تعد تكفي لخلق شعر كإديث سيتويل، و ت.س. إليوت»[5] .

---

[1]- ينظر: عبد الرضا علي، الأسطورة في شعر السياب، ص 72.

[2]- سالم المعوش، بدر شاكر السياب، ص 346.

[3]- إحسان عباس، بر شاكر السياب، دراسة في حياته و شعره، ص 60.

[4]- ينظر: بثينة علي إبراهيم مرزوق، الأدب السياسي و الحداثة في الشعر العربي، ص 74.

[5]- عبد الرضا علي، الأسطورة في شعر السياب، ص 89، 90.

فإيمان بدر بضرورة الاطلاع والثقافة جعل منه يكرس حياته في الكلية يبحث ويقرأ ويوّسع مداركه ومعلوماته من أجل أن يضع بصمته في التجربة الشعرية ويتميز بخصوصيته تميزه عن أقرانه .

إن ثقافة الشاعر ضرورة حتمية إذ لابد للشاعر أن يتسلّح بالموهبة والثقافة من أجل أن يعكسها في كتاباته وشعره ليقابل الوفد الجماهيري بكل ثقة وجرأة ويجذب القارئ إلى عالمه الزاخر بالأفكار والثقافات فالشاعر دون ثقافة كالزهرة بلا رائحة.

وفي إطار الحشد الهائل للرموز والأساطير التي وظفها بدر في شعره فأغلبية قصائده لا تكاد تخلو منها، ومنه نقول أن الدافع الأسمى لهذا الحشو والتضمين للرموز المختلفة الطبيعية، التاريخية، الدينية منها والأساطير الإغريقية والبابلية ...الخ، استخدمت بدافع تبيان مدى اتساع المصادر والروافد الثقافية والفكرية لبدر واستعراضها ورصد عمق اطلاع الشاعر على الآداب العربية والغربية والبراعة في النهل منها واستغلالها بما يتلاءم وتجربته الشعرية وتقريبها للمتلقين وإعادة إحيائها وإسقاطها على عصره.

2. الدوافع النفسية في شعر السياب:

تعدّ النفس جوهر الإنسان وحقيقته الكامنة وأواصره الداخلية بكل ما تحمله من خلجات وهواجس، فإن العامل النفسي من أبرز الدوافع التي تجعل الإنسان يلجأ إلى آليات وأدوات يتنفس من خلالها ويخرج مكبوتاته وآلامه النفسية التي تكابده في حياته وحين تأتي لذكر الشاعر ونفسيته نجدها تفوق نفسية الإنسان العادي إذ أنها أكثر اضطرابا وحساسية وذلك ناتج عن تجربته الحياتية وتقلبات العصر ولعلّ ما يطمح إليه الشاعر المعاصر في استناده للرموز والأساطير ودافع يحزّ في نفسه هو التعبير عن خلجاته وهواجسه وعن آلامه وخيباته

وانكساراته « فإنه يلتجأ إلى الأسطورة باعتبارها أعلى مراحل الرمز ولأن لها طاقة ذات إشعاع متوزع »[1].

فإن الطاقة الدلالية والإيحائية التي يزخر بها كل من الرمز والأسطورة تزيل الستار عن البواعث النفسية التي يخفيها الشاعر أو بالأحرى لا يستطيع التصريح بها وإخراجها أو التعبير عنها بطريقة مباشرة، فأغلبية الشعراء المعاصرين اتخذوا من الرمز والأسطورة بوابة لبث تجاربهم الحياتية ونجد على رأسهم الشاعر العراقي بدر شاكر السياب الذي صهرته الحياة بتقلباتها وقسوتها عليه منذ طفولته، حيث فقد أمه وهو في سن السادسة ولم يرتو من صدرها الحنون ومما زاد في حزنه زواج أبيه من امرأة أخرى، فموت أمه كان شديد الأثر عليه ونشهد ذلك في ذكرها في أغلب قصائده ولم تتوقف مأساة بدر في هذا الحد، بل تجاوزته في أن يترك في جيكور المحبوبة إلى قلبه ويذهب إلى المدينة التي زادت من ضيق صدره ووحدته، فلم يأنس لزيفها.

ظلّت جيكور هي رمز النقاء و البراءة، ثم أخذ يبحث في الحب والحنان بين الحسناوات لعلّه يظفر بحب واحدة تبادله إحساسه وتنسيه ما افتقده وتملأ حياته فرحا وسرورا، لكن لسوء حظه لم يعثر بدر عن المرأة المنشودة وفشلت كلّ تجاربه العاطفية، غير أن وفيقة التي هي إحدى حبيباته ظلّ يذكرها حتى آخر نفس له أو بالأحرى أسطورة رافقته طيلة تجربته الشعورية و الشعرية، ومما زاد في مرارة حياته دمامة وجهه التي أحدثت في نفسه عقدة وأفقدته الثقة بالنفس وصولا إلى مرحلة الواقعية، وما شهده إثر احتلال الإنجليزيين للعراق، وما خلّفه جور الحكام وبطشهم من جوع واضطهاد لأبناء العراق، فاستعان بدر بالرموز والأساطير من أجل التعبير عن حالته وعن وضع العراق، ومما يعانيه من تسلّط وقهر، «إنّ استخدام الشاعر المعاصر للأساطير يهدف إلى تحقيق غايات عديدة، إذ يطمح فيها إلى

[1]– عبد الرضا علي، الأسطورة في شعر السياب، ص 24.

تحقيق ذاتيته المكبوتة...، ورفض قوانين القهر والصراع و كشف ما يخفيه في نفسه من انكسارات حضارية راهنة»[1].

حيث وجد بدر الرمز والأسطورة مهربا يصّب فيه كل همومه وآلامه مستعينا « بحالات النفس ومناطق الشعور وحركات الفكرية، و واقع الحياة، ونبض العصر، وقضايا المجتمع»[2].

فإن كل ما يصدر عن بدر من شعر ما هو إلا انعكاس لنفسه بحيث يزيل الستائر عنها من خلال الشعر و تقنياته التي نشهد كثرتها خاصة في مرحلته الأخيرة التي واجه فيها الموت بكل ما أوتي من قوة رغم ظروفه النفسية القاهرة، فبث من خلال الرمز والأسطورة كل ما يجول في نفسه، وليس هذا بالغريب على شاعر مفجوع مأزوم لم يكف الألم والحزن عن مطاردته في مراحل حياته كلها « فقد رأى في رموز العذاب ما يمكن جعلها تعبر عن حالته الفردية ومن ثم تعميمها وتوسيع دائرتها لتشمل العام وتعبر عنه »[3].

ومنه فإن الدافع النفسي لاستعمال بدر للرموز والأساطير وتوظيفها في أغلب قصائده، يجمع كل الدوافع السابقة السياسية والاجتماعية والثقافية لأنها تنطلق من النفس وما يجزّ داخلها من اضطراب وقلق وآمال وسيطرة المشاعر العاطفية والوجدانية المكبوتة داخله، فإن هذا الهروب إليها بمثابة متنفس للشاعر الذي عانى من الفقر والتشرد واليُتم وفشل في تجاربه العاطفية والتصدي من قبل المحبوبات وغدر القدر غير العادل ومعاناته مع المرض الذي اجتاح جسده، فحورّ بدر بذلك الكثير من المضامين الأسطورية والرمزية وضمنّها في شعره وفق مراحل حياته المختلفة و أزماته النفسية الحادة.

---

[1]- عبد الرضا علي، الأسطورة في شعر السياب ، ص 25.

[2]- أحمد أبو حاقة، الالتزام في الشعر العربي، ص 382.

[3]- عبد الرضا علي، الأسطورة في شعر السياب، ص 192.

ت- أهمية الرمز و الأسطورة في شعر السياب:

أضفت الرموز والأساطير التي وظفها السياب في شعره رونقا فنيا يجعل قصائده تفيض بالإيحاءات والإيماءات التي تتفجر بالدلالات، فنجد شعره يستهوي القراء والدارسين للبحث في حيثيات الرمز والغوص في أعماق التاريخ الذي اجتث منه السياب رموزا وأساطير تخدم موضوعاته وتعبر عن أحاسيسه، فيتفاعل القارئ مع قصائد السياب من خلال تلك الرموز التي تجعله يحس بما يعيشه الشاعر من جهة وبما تعيشه الشخصيات الرمزية والأسطورية من خلال فهم الدلالات التي توحي إليها وفهم شخصية السياب وتجربته من خلال هذه الرموز والأساطير « من هنا تصبح الأسطورة جزءا من هوية الشاعر وأحاسيسه»[1].

إذ نجده يرمز إلى صبره على شدة مرضه ومرارة ألمه وقساوة حرمانه واغترابه بالرمز "أيوب" الذي يوحي إلى الرضا بالله والتوكل عليه في الشدة، ورموز تموز، المسيح، وسربروس، وظفها تعبيرا عن الرغبة في التغيير والبحث عن البطل المنقذ من خلال فكرة التضحية «لاسيما أن التضحية عند السياب كانت تعبيرا عن أزمة الشاعر ورغبته بالفعل وعجزه عنه، من ثم كانت طريقا للهرب والانتحار المعنوي، والغياب عن العالم»[2]، أو هروبا نتيجة الخوف من انتقام السلطة، كما وتظهر أهمية الدافع النفسي في تفرد السياب بأسلوبه الشعري وشاعريته المفرطة التي كانت تعطي بغزارة «فالتجربة الشعرية نتيجة عملية كبت وإقصاء لتجربة شعورية ألمّت بالشاعر ومنعها من الظهور، ثم عادت لتظهر بشكل آخر لتكون صورة رمزية، أو حكاية أسطورية، وبعبارة أخرى تبقى التجربة مكبوتة في اللاشعور ثم تعود للمقاومة فينفّس عنها الشاعر بالرمز والأسطورة وبذلك يصبح للأسطورة وظيفة علاجية

---

[1]- ميساء زهدي الخوجا، تلقي النقد العربي الحديث للأسطورة في شعر بدر شاكر السياب، ص 73.

[2]- نفسه، ص73.

سواء كانت نتيجة عجز أو هروب أو تسريبا لطاقات وغرائز مكبوتة»[1]. ومنه فإن أهمية الرمز والأسطورة تكمن في كونها علاجا للسياب لأنها تحوي مكبوتاته النفسية المخزنة في اللاشعور منذ وفاة أمه وهو طفل صغير « أي أن الموت بشكل عام، وموت الأم بشكل خاص هو ما يحرك وعي السياب من هنا خدمت التموزية أو العشتارية التي اتخذت شكلا فنيا كامل الحضور في شعر السياب _ عبر أسطورتها بشكل صريح _ قطاعا عميقا في لاشعور السياب، وهو الرغبة في عودة الأم مما دفع الشاعر إلى تبني صورة عشتار النائحة على تموز، وصورة تموز الباحث عن عشتار التي هبطت إلى العالم السفلي، وهي صورة يكاد ينفرد بها السياب دون شعراء جيله »[2].

ومنه تكمن أهمية الرمز والأسطورة في شعر السياب كونهما يمثلان عنصران فعالان في شعره من خلال القيمة الفنية والجمالية التي يضفيانها إلى جانب إعادة بثّ الروح في أساطير ورموز تراثية قديمة وتوظيفها في سياقات معاصرة يعبر من خلالها السياب عن واقعه النفسي والاجتماعي والثقافي المعاصر، ومن جهة أخرى يمثل قوة دفع للقارئ في البحث عن الدلالات التي توحي بها الرموز والأساطير فتعيد الباحث إلى التراث القديم وأصول هذه الرموز والأساطير ليقوم بدوره في صناعة المعنى لأن الشاعر لا يقدم دلالات جاهزة بل على القارئ البحث عن المعنى المقصود.

أصبح الشعر المعاصر يزخر بالظواهر الفنية والعناصر الجمالية إثر استخدام الشعراء للرمز والأسطورة بكثرة بحيث أصبحت هذه الأدوات منفذا لرصد التجربة الشعرية وقالبا معبر عنها، فهذا اللجوء ناتج عن عجز الخصائص القديمة كالتشبيه والاستعارة والصورة عن نقل التجربة وإيصال المعنى في عصر شابه التغيير في كل الأنحاء الفكرية

---

[1]– ميساء زهدي الخوجا، تلقي النقد العربي الحديث للأسطورة في شعر بدر شاكر السياب، ص 66، 67.

[2]– نفسه، ص 69.

والرؤى والتصورات فحتى اللغة الشعرية اتخذت طابعا جديدا يتوافق والحياة المعاصرة «فالسائد في الخطاب الشعري الحداثي هو تميزه بالاستعمال الجمالي والرمزي للغة وخرق العادة التعبيرية والمعرفية للمتلقي فلغته غالبا هي لغة غير مألوفة في تركيبها، غريبة وغير منطقية تصدم القارئ العادي»[1].

حيث استطاع بدر أن يطوّع الرمز والأسطورة بخاصية فنية سخيّة بالدلالات اللانهائية التي تبرر الخلفية الفكرية والثقافية للشاعر حين عرضها، وتبرز مدى تفاعل وتجاوب المتلقي مع النص الشعري حين يعرض في أعماقها للتحري عن معناها وفهمها وتفجير طاقات القراءة والتأويل لديه فإن الرمز و« دلالته العصرية جعلته يفصح عن مواقف إنسانية وجد فيها المتلقي بعد حين ما كان يرتجيه من جدّة وجودة في عملية الطرح والتناول»[2].

فهذا الطرح الفني من قبل بدر يقابله أيضا تناول فني تأويلي من طرف المتلقي الذي تفاعل مع هذا الوعاء الذي صبّ فيه الشاعر كلّ « قدراته الفنية في عملية الخلق الشعري بشكل جعله الرائد الأول دون منازع »[3].

تمكنت الأسطورة والرمز في بناء معمارية القصيدة السيابية وجعلها تحفل بثراء وغنى فني من حيث المميزات الجمالية ومن حيث توصيل المعنى وتبيان البواعث الرئيسية لهذا الإدراج المكثّف، مع تحرير الطاقات التخيلية لبدر « مما جعل لمخيلته الشعرية تلقائيتها في تكوين الصورة الشعرية وبنائها... وذلك بما كان له منها وفيها من طرائف التغيير التي أصبحت من الخصائص الفنية لقصيدته»[4]، وفي ظلّ هذا الحشد للرموز والأساطير، من قبل

---

[1]- حميد الشابي، الكائن و الممكن في قراءة الشعر العربي المعاصر، ص 253.

[2]- عبد الرضا علي، الأسطورة في شعر السياب، ص 188.

[3]- نفسه، ص 9.

[4]- ماجد السمرائي، بدر شاكر السياب شاعر عصر التجديد الشعري، ص 12.

بدر فهناك من الدارسين من أعاب عليه هذه الظاهرة واتهمه بالحشو لهما الغير واعي على حساب فنه الذي أصبح يتسم بالغموض حيث أن « تناول السياب في شعره رموزا في أساطير تعددت منابعها وتنوعت أصولها وكثرت الإشارات إلى هذه الأساطير كثرة تلفت انتباه قارئه من جهة ومن جهة أخرى يعمى عليه الهدف وكذلك تفسد تتابع المعنى وترابطه إن لم يكن مُلما بدلالة الأسطورة ولذلك فقد كان للأسطورة نصيب كبير فيما شاع من الغموض في شعر السياب بخاصة وفي الشعر الحديث بشكل عام»[1].

إذ جعل هؤلاء الدارسين الإفراط في توظيف الأسطورة والرمز في القصيدة مغلفة بالغموض « عاجزة عن الإيحاء، فإن غموضها يفقدها قيمتها الفنية ويوقعها في نطاق المعميات والأحاجي المفرطة في التعقيد والعبث واللامعنى، وبذلك تتحول القصيدة إلى ساقط الشعر ورديئه»[2] .

فإن بدر أثبت ثقافته في استعمال هذه الرموز والأساطير في قصائد عدّة لكن هذا التوظيف قتل فنه وطمس جماليته ونشهد هذا خاصة في قصيدة له بعنوان " مرثية الآلهة" التي وظّف فيها أكثر من رمز وأكثر من أسطورة.

حيث قال: [3]

كالقابيل يعتال الأشقاء، واكل

كأوديب للخبر الإلهي صافع

وهذا الإله الأملس الفظ ما جلا

---

[1]- بثينة علي إبراهيم مرزوق، الأدب السياسي و الحداثة في الشعر العربي، ص 89.

[2]- أحمد أبو حاقة، الالتزام في الشعر العربي، ص 381.

[3]- بدر شاكر السياب، ديوان أنشودة المطر، ص 38.

لنرسيس يجثو عنده وهو خاشع

سوى وجه نرسيس الرخاسي، شابه

شحوب يهوذي التلاوين نافع

وأوفى من الأرباب جيل يئمه

على قمة الأولمب رب مخادع

ترى" فحم" إذ يلقاه راجفا

و"فولاذ" من تلماح عينيه مائع

ويا عهد كنا كابن حلاج واحد

مع الله إن ضاع الورى فهو ضائع

ففي هذا المقطع يستمد بدر رموزه وأساطيره من الأساطير الإغريقية كرمز " أوديب" و"نرسيس" و"الأولمب"، كما يستمد من التراث المسيحي شخصية يهوذا ومن التراث العربي شخصية الحلاج[1].

فهذا الحشد الكبير للرموز والأساطير من منابع وروافد مختلفة ولأسماء شخصيات أسطورية متنوعة تعوق القارئ العادي الذي لا يعرف مدلولاتها ولم يطلع على معناها وكأن بدر يختص بكتابته القراء المثقفين فقط، ومن منظور آخر نقول أن بدر اتخذ هذه الخصائص خمن أجل التعبير عن رؤاه وأخيلته، وتصوير لواقعه وتجربته الحياتية «فحشد كبير من الأشياء التي تعيش في واقع الشاعر النفسي، وتتجمع وتتضام، ويؤلف بينها ذلك

[1]- ينظر: محمد فتوح أحمد، الرمز و الرمزية في الشعر المعاصر، ص 299، 300.

الخلق الفني الجديد ليخرج منها عملا شعريا ضخما»[1]، فإن الأهمية القصوى لتوظيف الرمز والأسطورة هي تلك التي تندمج وتعبر عن التجربة الشعرية وهذا ما حققه بدر في هذا التوظيف، إضافة إلى ذلك إضفاء على شعره جماليةً تجعله ينفرد ويفوق أبناء عصره في تعامله مع هذه التقنيات الرائجة في الأوساط الشعرية الحديثة.، إن شعر بدر جاء من قريحة راجحة و من شاعر فذ من العسير تكرر صورته مدى العصور اللاحقة.

وفي الأخير نقول أن بدر موسوعة من العلم والثقافة والعطاء الشعري في إطار تجربته الشعرية الطويلة، فجاء بدر إلى هذه الحياة وكأن القدر حمّله رسالة واقتراح عليه أن يكون أنموذجا عصريا بمعنى الكلمة مثل ما وصفه الدكتور سالم المعوش في عنوان لكتابه "نموذج عصري لم يكتمل" ، حيث لم يكتمل لأن الموت خطفه في عزّ شبابه حاملا في قلبه رسالة وعلى لسانه المزيد من القول فبموت بدر انطفأ القنديل الشعري العربي المتوهج، وخسرت الساحة العربية شاعرًا طالما اشرئب بشعره وقدّم كما هائلا في فترة عمره القصيرة، فالشاعر عاش الأوجاع، المكابد غير أن هذه الأوجاع أثرت و ثمنّت موضوعاته وحملت كنز لا يفنى للأدب العالمي عامة وللأدب العربي خاصة وغدا مفخرة الأمة العربية جمعاء.

[1]- أحمد أبو حاقة، الالتزام في الشعر العربي، ص 383.

خاتمة

خاتمة:

وفي الختام لا يسعنا إلا أن نقول أن "بدر شاكر السياب" من الشعراء العراقيين والمعاصرين الذين خاضوا تجارب قاسية، ولقد ساهمت تجربته الذاتية في إبداعه الفني، حيث رفعته في سماء الإبداع والغزارة الشعرية بصفته شاعر، ولكن بصفته إنسان أضحت به إلى أدنى درجات الانكسار والانهزام والخيبة، فقد مثّل الماضي وذكرياته حالة تعويضية لبدر في غربته، وأخذ يعود إليه في كل لحظة قاسية ليخفف عنه الأوجاع والجراح المرهونة بالواقع والمدينة والغربة، حيث ظلّ الموت هاجسا في نظر بدر لأنه حرمه من التنعم بالحنان والحب من الأم التي فقدها وهو في سن السادسة من عمره، كما ظلّت صورة المرأة مبتورة لم تكتمل في مخيلة بدر ويظهر ذلك في شعره المشحون بالحزن والتشاؤم.

انتقال السياب من مرحلة البحث عن البحث الذات الفردية إلى مرحلة البحث عن الذات الجماعية، كان نتيجة تحوّل الظروف الاجتماعية والسياسية، النفسية والأدبية التي عاصرها، وقد أظهر السياب في المرحلة البحث عن الذات الجماعية والتزامه الاجتماعي والسياسي، كما سخّر شعره في الذود عن القضايا القومية،إذ رصد في شعره ظاهرة الصراع الثقافي التي يعاني منها رفقة شعبه إلى جانب بعض القيم الاجتماعية الفاسدة ذاكرا الأسباب، داعيا إلى الثورة بهدف إصلاح الأوضاع و تغييرها، لاسيما أنّ الأوضاع السياسية في العراق بعد الحرب العالمية لا تعد تبشر بالخير فقد تأزمت أوضاعها في مختلف الميادين بسبب النظام السياسي الفاسد و السلطة المستبدة، الأمر الذي جعل السياب يظهر انتماءه إلى الحزب الشيوعي خلال فترة التزامه السياسي ولكن ما لبث حتى أعلن انفصاله عن الشيوعية .

في مرحلة الحضور الرمزي توارى الجانب الاجتماعي في شعر السياب وأصبحت أكثر الرموز والأسماء الأسطورية تناسب ذاته وتلاءم فرديته، فتعددت أنواع الرموز واختلفت

مصادرها في شعره منها الديني، التاريخي، الطبيعي، والرمز الأسطوري، فنجده يستخدم رموزا في أساطير متنوعة الأصول والمنابع يرمز بها إلى واقع المجتمع والثورة وكذلك واقعه النفسي مثل "تموز" و"السندباد"، ومن الرموز الدينية الأكثر توظيفا في شعر السياب في مرحلة المرض رمز" أيوب" رمز القوة والصبر على معاناة المرض والبلاء والرضا بقضاء الله وقدره، ومن الرموز الطبيعية التي كثر استعمالها في شعر السياب المطر الذي وقد اتسعت دائرته في شعره ليشمل عدة دلالات، فالشاعر ذو نزعة قومية و وطنية ويظهر ذلك في توظيفه للرمز التاريخي مثل "جميلة بوحيرد"، حيث كان انتقال بدر من مرحلة البحث عن الذات الجماعية إلى مرحلة الحضور الرمزي ناتج عن دوافع نفسية واجتماعية وسياسية وكذلك الثقافية.

فإنّ توظيف الشاعر للرموز يكشف عن المخزون الثقافي والمعرفي الذي يتمتع به فقد نهل من ثقافات مختلفة أهمها الأدب العربي والإنجليزي وتأثر بالخصوص بالشاعر (ت، س، إليوت) وبقصيدته "أرض الخراب"، إذ تفوّق السياب على زملائه من الشعراء المحدثين في استعمال الرمز والأسطورة فلم يوظفهما شاعر عربي كما فعل هو، حيث تكمن أهمية الرمز في شعر السياب في كونه وعاء الشاعر الذي يحوي نوازعه و وعاء القارئ ليُنّمي ثقافته من خلال البحث في حيثيات الرمز.

قائمة المصادر والمراجع

قائمة المصادر و المراجع :

القرآن الكريم برواية ورش عن نافع.

أولا: الكتب:

1. أبو حاقة أحمد، الالتزام في الشعر العربي، دار الملايين، بيروت، ط1، 1979.

2. أطميش عبد الطيف،بدر شاكر السياب . في أيامه الأخيرة ـ جداول للنشر و الترجمة و التوزيع، بيروت، ط1، 2015.

3. بلاطة عيسى، بدر شاكر السياب، حياته و شعره، دار النهار للنشر، بيروت، ط3، 1981.

4. داوود البصري عبد الجبار، بدر شاكر السياب، رائد الشعر الحر، دار الجمهورية.

5. زهدي الخواجا ميساء، تلقي النقد العربي الحديث للأسطورة في شعر بدر شاكر السياب، الدار البيضاء، بيروت، ط1، 2009.

6. السمرائي ماجد، بدر شاكر السياب، شاعر عصر التجديد الشعري، مركز دراسات الوحدة العربية، بيروت، ط1، 2012.

7. السياب بدر شاكر، كنت شيوعيا، منشورات الجمل، بغداد، ط1، 2007.

8. الشابي حميد، الكائن و الممكن في قراءة الشعر العربي المعاصر، مركز دراسات الوحدة العربية، بيروت، ط1، 2013.

9. صالح مدني، . هذا هو السياب . أوجاع و تحديد و إبداع، دار الرشد للنشر، الجمهورية العراقية، دط، 1981.

10. الصياغ رمضان، في نقد الشعر العربي المعاصر، دراسة جمالية، دار الوفاء لدينا الطباعة والنشر، الإسكندرية، ط1، 1992.

11. عباس إحسان، بدر شاكر السياب، دراسة في حياته و شعره، المؤسسة العربية للدراسات و النشر، بيروت، ط6، 1992.

12. علي إبراهيم مرزوق بثينة، الأدب السياسي و الحداثة في الشعر العربي، دراسة تحليلية للشاعر بدر شاكر السياب، مركز الإسكندرية للكتاب، الإسكندرية، دط،2006.

13. علي عبد الرضا، الإِسطورة في شعر السياب، منشورات وزارة الثقافة و الفنون، الجمهورية العراقية، دط، 1978.

14. فتوح أحمد محمد، اللامز و الرمزية في الشعر المعاصر، دار المعارف، مصر، دط، 1988.

15. محمد أبو جبين عطاء، شعراء الجيل الغاضب، دار المسيرة، عمان، دط، 1981.

16. المعوش سالم، بدر شاكر السياب، نموذج لم يكتمل، دراسة في تجربة السياب الحياتية و الفنية و الشعرية، مختارات من شعره، مؤسسة بحسون للنشر و التوزيع، بيروت، ط1، 2006.

17. يوسف أبو زيد سامي، الأدب العربي الحديث، الشعر، دار المسيرة للنشر و التوزيع، عمان، ط1، 2004.

ثانيا: الدواوين الشعرية:

1. بدر شاكر السياب، أنشودة المطر، منشورات دار مكتبة الحياة، بيروت، دط، 1969.

2. بدر شاكر السياب، أزهار وأساطير، مؤسسة هنداوي سي أي سي، المملكة المتحدة، دط، 2017.

3. بدر شاكر السياب، الديوان، المجلد الأول، دار العودة، بيروت، لبنان، ط 2016.

4. بدر شاكر السياب، شناشيل ابنة الجلبي وإقبال، مؤسسة هنداوي سي أي سي، المملكة المتحدة، دط، 2017.

5. بدر شاكر السياب، منزل الأقنان، دار العلم للملايين، بيروت، ط1، 1963.

6. بدر شاكر السياب، المعبد الغريق، مؤسسة هنداوي سي أي سي، المملكة المتحدة، 2017.

ثالثا: المجلات:

1. سيد رضا مير أحمد و آخرون، أشكال الحنين إلى الماضي، في شعر بدر شاكر السياب، مجلة دراسات في اللغة العربية و آدابها، ع1، 2012.

2.عباس إحسان، اتجاهات الشعر العربي المعاصر، مجلة عالم المعرفة، تصدر عن المجلس الوطني للثقافة والفنون والآداب، الكويت، ع1998،2.

3. صالح رشيد محمد، الطفل و الطفولة في شعر السياب، مجلة إيمان، كلية التربية الأساسية، مج11، ع11، 2011.

4. فياض الشرفات خالد، المؤثرات الاجتماعية في نشوء الشعر الحر شعر بدر شاكر السياب نموذجا، مجلة دراسات العلوم الإنسانية و الاجتماعية، مج45، ع4، ملح1، 2018.

5. مهدي المسعودي كريم، القومية في شعر السياب، أوهام البحث و حقيقة النص، مجلة تسليم، تصدر عن قسم اللغة العربية، جامعة القادسية، العراق، ع 408، مج2، 2018.

فهرس الموضوعات

شكر و تقدير -
إهداء -
مقدمة أ-ت
مدخل 5
الفصل الأول: السياب ورحلة البحث عن ذاته 12
شاعرية المكان عند بدر شاكر السياب 13
غربة الشاعر عن جيكور وتخليدها في شعره 14
صورة الأم في شعر السياب 21
صورة الأب في شعر السياب 27
تأثير المرأة على شعر السياب 31
تجربة السياب مع الحب 31
بعض العقد النفسية في شعر السياب تجاه المرأة 51
الفصل الثاني: السياب من الذات الفردية إلى الذات الجماعية 59
الالتزام الاجتماعي في شعر السياب 60
تجلى الصراع الطبقى الاجتماعي في شعر السياب 60
إصلاح القيم الاجتماعية في شعر السياب 69
الاتجاه الواقعى و الالتزام الماركسى في شعر السياب 77
البعد السياسى في شعر السياب 77
البعد القومي في شعر السياب 92
الفصل الثالث:الحضور الرمزي في شعر السياب ومرحلة النهاية 104
الرمز عند السياب الأنواع و الدوافع و الأهمية 105
أنواع الرموز الموظفة في شعر السياب 105

الرموز الطبيعية في شعر السياب 105
الرموز التاريخية في شعر السياب 110
الرموز الدينية في شعر السياب 113
الرموز الأسطورية في شعر السياب 118
دوافع توظيف السياب للرمز و الأسطورة 124
الدوافع السياسية والاجتماعية في شعر السياب 125
الدوافع الثقافية في شعر السياب 128
الدوافع النفسية في شعر السياب 132
أهمية الرمز و الأسطورة في شعر السياب 135
خاتمة 141
قائمة المراجع 145

ملخص:

حاولنا في بحثنا الموسوم بعنوان " **تحولات التجربة الشعرية عند بدر شاكر السياب الاعمال الكاملة انموذجا**" حيث رصدنا اهم التحولات التي عرفتها تجربته الشعرية من خلال أعماله الكاملة بداية بمرحلة البحث عن الذات التي ميزتها الغربة والاسى، تليها مرحلة الانتقال من الذات الفردية الى الذات الجماعية والتي ميزها الاهتمام بالواقع والتزام السياب بالقضايا الاجتماعية والسياسية للمجتمع العراقي اضافة الى الحس القومي، وكمرحلة اخيرة تناولنا فيها بعض العناصر الفنية البارزة والحاضرة في شعره بقوه كالرمز والاسطورة.

الكلمات المفتاحية:

بدر شاكر السياب، التجربة الشعرية، الشعر المعاصر، الالتزام، الرمز، الواقعية، الذاتية، الاسطورة، الرومانسية.